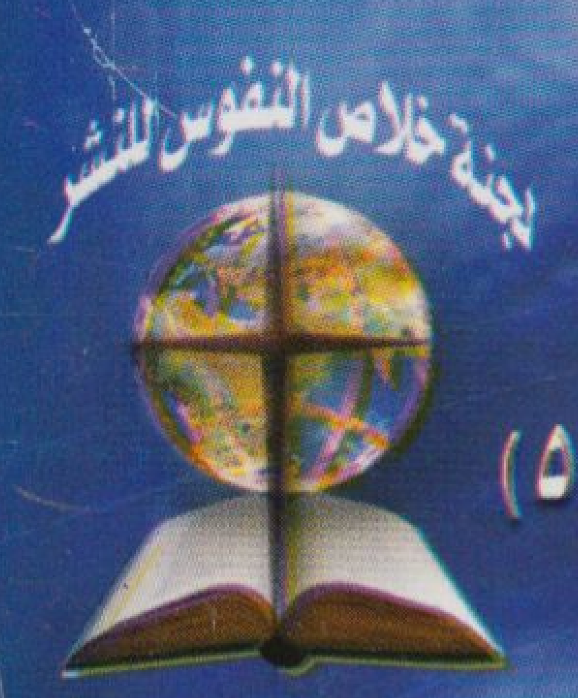


الكتاب السنوى رقم (٥١)



هدف التجربة

تأليف
بوب مامفورد

ترجمة
روبين چورج عزمى

هدف التجربة

تأليف :

بوب مامفورد

تعريب :

روبين جورج عزمى

يناير ٢٠١١



اسم الكتاب : **هدف التجربة**

اسم المؤلف : **بوب مامفورد**

اسم المترجم : **روبين چورج عزمي**

الطبعة : **الأولى - يناير ٢٠١١**

التصميمات والإخراج الفني والطباعة : **مطبعة الخلاص**

الناشر : **لجنة خلاص النفوس للنشر** ١٢ ش قطة شبرا مصر

مكتبة الخلاص ١٣ ش قطة شبرا مصر ت ٢٥٧٧٦١٠٥

ت : ٢٥٧٦٤٢٠٠ - ٢٥٧٧٢٥٢٦ - فاكس ٢٥٧٧٧٧٨٧

بريد إلكتروني : LGNT_ELNSHR@YAHOO.COM

موقعنا على الإنترنت : **www.sssegypt.org**



صفحة

هذا الكتاب

للمؤمنين الذين قضوا وقتاً

في جدوبة روحية لعدم فهمهم المبادىء

التى على أساسها يعمل الله في ملكوته.

مقدمـــة

عندما صرخ هوشـع «قد هلك شعبى لعدم المعرفة» (انظر هوشع ٦:٤)، أدرك احتياج شعب الله في كل جيل من الأجيال، ألا وهو السير في الحياة وفقاً لطرق الله، وعلينا أن ندرك أن الله يعمل وفقاً لمبادىء محددة. هذا الكتاب عن التجربة معد خصيصاً لدراسة طرق الله ومعرفة مبادئه في العمل. إنه ليس حديثاً لاهوتياً عن جنة عدن، ولكنه دليل تعليمى. وعندما تتعلم هذه المهارات فإن هذا سوف يساعدك على فهم حقائق الكتاب المقدس والتمتع بزاد الله الوفير لأبنائه.

أستطيع أن أشهد مثل الآخرين عن حياة قد تغيرت.

كانت إمدادات الله لى في المجالات المادية، والمالية، والروحية حسب وعوده ولا يمكن أن يتحقق ذلك بدون عنصر الجهاد، وهذا ما دعانى لمشاركتكم هذه الاختبارات.

لم يكن قد مرّ زمن طويل بعد رجوعى إلى الرب يسوع المسيح حتى سمعت عن: «الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً» ويعتبر هذا رمزاً للوعود الكثيرة المذخرة لنا في الكتاب المقدس.

سيكون هنا انسجام بين ما يُكتب بلغة اليوم وتؤكده الأحداث اليومية وبين هذه الفصول التى رويداً رويداً ـ ستأتى بك إلى أرض موعدك.

يا الله، أبانا، نطمع من جلالك أن تكون هذه الكتابة قد نالت رضاك وتستخدمها بطريقتك العجيبة لأولئك الذين تتقاذفهم أمواج بحر التجربة العاتية... في اسم يسوع. آمين.

بوب مامفورد

الفصل الأول

التجربة بمنظور معيّن

قال شاب لوالده: «أثناء ما كنت غائباً في نيويورك، كنت قاب قوسين أو أدنى من كسر العهد الذي اتخذته أمامك بعدم استخدام السيارة أثناء غيابك. إنك تركت المفاتيح على نُضُدُ المطبخ، فقمت بوضعها في جيبي، وطيلة ثلاثة أيام جيئة وذهاباً كنت أقاوم التجربة».

ابتسم الأب وقال: «يا بُنيَّ، لا يوجد أفضل من التجربة لتبيِّن لك ماذا أنت فاعل إذا ما أتيحت لك الفرصة!».

التجربة لها غرض أساسى في حياتنا حسبما يراها أبونا السماوى، فهى تساعدنا على اكتشاف أنفسنا وإلى أى مدى وصلنا إليه، ولها دور مهم فيما سنكون عليه مستقبلاً.

تعتبر التجربة عنصراً في عملية النمو النفسى والروحى إذ يجب على أى شخص أن ينمو بها لكى نصبح أفراداً ناضجين قادرين على أن نحيا حياة حافلة وذات معنى.

إن وظيفة التجربة دائماً ما تحرض على اختيار بعينه وإثارة فعل وموقف محددين. ففى الموقف الذى نحن بصدده، الشاب ومفاتيح السيارة، نجد أن المفاتيح موجودة على نُضُد المطبخ وهكذا كانت التجربة معروضة في صورة جعلته أمام قرار صعب ومهم للغاية، هل

سيعصى والده ويورِّط نفسه في عمل غير مسئول قد يكون أسهل عليه من الناحية النفسية أن يكرر مثل هذا النوع من الاختيار؟ أم أنه ـ بطاعته ـ سيضع نموذجاً لقرارات ناضجة وحكيمة في المستقبل؟

الواقع، إن التجربة ما هى إلا خط فاصل بين البراءة والوعى. حالما تعرضت للتجربة وقمت فعلاً بعملية الاختيار، فإنك تكون قد بدأت تخطو نحو بُعد جديد للواقعية؛ فإذا كان اختيارك صحيحاً سوف تأخذ البركة. وإذا كان اختيارك خاطئاً سيكون وقع ذلك شديداً عليك.

يجب أن نمر بالتجارب أثناء خبرتنا سواء أحببناها أم لا، إذ أنها تقدم دائماً درساً يمكن الاستفادة به وتَعَلُّمُه واختيارنا هو الذى يحدد ما إذا كان الدرس قد تم تعلمه أم يجب تكراره.

إننا نعلم أطفالنا ألا يعبروا الشارع بمفردهم. يأتى دور التجربة في اللحظة التى يجد الطفل فيها الفرصة لعدم الطاعة. لا يوجد أحد هنا أو هناك والشارع نفسه يحث على الإغراء ويشجع على المغامرة.

الاستجابة للتجربة سيحدد ما إذا كان الوثوق بالطفل كي تطأ أقدامه أرض الشارع مستقبلاً أم لا...

كيفية مواجهتنا للتجربة يؤثر على كل جانب من جوانب خبرتنا الشخصية. من الأهمية بمكان أن تفهم أكثر عن طبيعة التجربة وغرضها المحدد.

ولسوء الحظ، فإن التجربة هى إحدى أكثر الكلمات غير المفهومة في لغتنا:

هناك بعض الاعتقادات في التجربة إحداها تشير إلى شيء يجب تجنبه بأية حال، بمعنى أنه شيء خطر وسوف يسبب ألماً شديداً أو مشكلة معينة وأنه شيء سيؤدى بنا حتماً إلى الخطأ.

اختيارنا لاتجاه معيَّن وحَسْبُ، قد يؤدى بالتجربة إلى مثل هذه الأشياء. لا يمكننا أن نعتبر التجربة مصدراً للإزعاج أو سبباً في ارتكاب الخطأ، ولكنها تضع أمامنا اختياراً فحَسْبُ.

إذا كنت ألقى باللوم على التجربة عندما أقوم بإرتكاب خطأ معين - لو لم أتعرض لمثل هذه التجربة لما قمت بعمل هذه الخطية يعتبر شيئاً سخيفاً كقولى: «لو لم تتغير الإشارة إلى اللون الأحمر قبلما أصل تواً إلى مفارق الطرق، لما كنت وقعت في مخالفة ودفعت غرامة مالية».

مَنْ الذى يمكن لومه إزاد هذه المخالفة؟ أنت أم الإشارة الحمراء؟

إن فائدة الإشارة الحمراء فقط بالنسبة لك هو أن تفكر وتختار بسرعة: هل من الأفضل بالنسبة لى أن أتوقف وأخضع للقانون؟ أم أنطلق مسرعاً لتوفير دقيقة من الزمن وأكون مسئولاً لمواجهة النتائج؟ إن الاختيار هو اختيارك ولا شيء غير ذلك.

إن فهمنا للطريقة التى تعمل بها التجربة يجعلنا نواجهها بطريقة مختلفة ما يؤدى بدوره إلي تغيير حياتنا.

عندما نكون كمسيحيين أمناء مع أنفسنا، نقر مجبرين بأن هناك تناقضاً ملحوظاً بين الحياة المسيحية كما نختبرها، وبين ما نخفيه بعمق ونتمناه داخل قلوبنا.

إننـــى أقـــول إن هـذا مجرد أمـــل، لأن البعض منا لم يصلـــوا بعد إلى التأكـد من أن الحياة المسيحية يمكن أن تكون مختلفة اختلافاً جماً.

يفسر البعض التناقض بين الوعود الجميلة في الكتاب المقدس وبين حياة كثير من المســـيحيين بقولهم بأن الوعود الجميلة تشير فقط إلى الســـماء. إذا كان الأمـر هكذا، فإنه يعتبـر ديناً خيالياً، لأنـه لا يقدم لنا الكثير لكى يساعدنا في حل مشكلاتنا التى نمر بها الآن وهنا.

رفض بولس هذا النوع من الهروب من الواقع عندما أكد على ماهية الحيـاة المسـيحية الآن بقولـه: «لأَنَّـهُ إِنْ كَانَ بِخَطِيَّةِ الْوَاحِـدِ قَدْ مَلَكَ الْمَـوْتُ بِالْوَاحِدِ، فَبِالأَوْلَى كَثِيرًا الَّذِيـنَ يَنَالُونَ فَيْضَ النِّعْمَةِ وَعَطِيَّةَ الْبِرِّ، سَيَمْلِكُونَ فِي الْحَيَاةِ (ملوك أحياء) بِالْوَاحِدِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رو ٥:١٧).

المســيحية الحقيقية هى عندما تصبح فعـــلاً وعود الكتاب المقدس حقيقـــة. إن وعود الله الغنية في كثرتهـا ولكن بدون تحقيقها جعلنى أصـــل إلى موقف أرفض فيه طلب أو قبـــول أي وعد كتابي آخر إلى حين تكون الوعود التى أعرفها فعلاً قد صارت عاملة في حياتى.

إن معرفـــة كل وعـــود الكتاب المقـــدس وحفظها عـــن ظهر قلب لا يجعلنا ننال هذه الوعود بطريقة آلية.

أعـرف مؤمنين يستشـــهدون كثيراً بالآيـــة التالية: «إِذًا لاَ شَـيْءَ مِنَ الدَّيْنُونَةِ الآنَ عَلَى الَّذِينَ هُمْ فِي الْمَسِـيحِ يَسُوعَ، السَّالِكِينَ لَيْسَ حَسَبَ الْجَسَـدِ بَلْ حَسَـبَ الرُّوحِ» (رو ٨:١)؛ ومع ذلك فهم يعيشـــون تحت دينونة متواصلة، كما لو كانوا سيحملون معهم إلى القبر خطاياهم القديمة.

وأعرف آخرين يستشهدون بآيات من الكتاب المقدس عن امتلاء قلوبهم بالفرح ـ ومع ذلك ـ فهم أتعس وأكثر مخلوقات كآبة قد رأتهم عيناى من قبل!

ولا زال هناك آخرون يعرفون كل آيات الكتاب المقدس التى تظهر لنا كيف يحب أحدنا الآخر، ومع ذلك فحياتهم الزوجية على حافة الانصهار، إذ أنه ليس بمقدورهم تقديم الحب لأطفالهم فلذة أكبادهم، وعلاقاتهم في العمل تتسم بالصعوبات المستمرة.

هل يشفى الله منكسرى القلوب؟

وهل يجعل المريض يسترد عافيته؟

وهل يقدم الحب لِمَنْ يشعر بالوحدة والمرارة؟

وهل ينقذ الضال؟

وهل يحرر أولئك الذين يعيشون في شقاء؟

وهل يصلح العلاقات المنهدمة؟

وهل بإمكانه تقديم الحب والفرح والضحك لِمَنْ يعيشون حياة خاوية كئيبة؟

هل يقدر أن يجعل أفراد العائلات يسلكون في المحبة والروح بنفس واحدة؟

إننى أتساءل: هل بمقدوره أن يسدد احتياجاً معيّناً لديك؟

ويستجيب صلاتك لأجل طلبة بعينها؟

وهل يحقق وعداً معيّناً قد تعلقت به لسنين؟

هل الكتاب المقدس يقدم لنا أموراً حقيقية أم حكايات ملفقة للتضليل وهل هو مجرد شيء يريحنا في عالم مليء بالمشكلات؟

هل التديُّن مجرد عكاز للضعيف الذى لا يستطيع أن يواجه الواقع؟

إن إيمانى راسخ بأن الكتاب المقدس حقيقى، وكل كلمة من كلماته صحيحة.

لقد رأيت بنفسى ما يكفى من هذه الوعود.. لذا دعونى أتساءل: لماذا لا نختبر كلنا وعود الله التى تصبح واقعاً معاشاً إذا كانت الوعود حقيقية بدرجة كافية، هل يجوز أن يكون هناك شيء آخر خطأ؟ يجب أن نعترف بأنه يوجد «شيء آخر».

في بحثنا عن الشخص المتهم، لا يمكننا أن نغفل بطبيعة الحال إلقاء الضوء على أنفسنا.

ليس الأمر هو الحاجة إلى أن نصلى أكثر، ونقضى وقتاً أكثر لدراسة الكتاب المقدس، ونحضر اجتماعات صلاة أكثر، ونبذل جهداً أكثر لكى «نكون صالحين» أو نقدم مالاً أكثر للكرازة وعمل الله.

كل هذه الأمور نافعة، ولكنها بعيدة تمام البعد عن المشكلة موضوع البحث الذى نحن بصدده والتى تتطلب حلاً.

بيننا وبين تحقيق وعود الله الجميلة يقع دائماً موقف يحتوى على تجربة. والطريقة التى نستجيب بها لهذه التجربة هى التى تحدد ما إذا كنا سنصل إلى تحقيق الوعد المذخر لنا أم لا.

وبتعبير آخر عندما نتعلم كيفية مواجهة التجربة سنكون قد بدأنا نتعلم كيف نرى وعداً يصبح واقعاً معاشاً بالنسبة لنا على المستوى والإنجاز الشخصى.

قبل أن نواصل موضوعنا يجب أن نوضح تماماً ما هو غير مرتبط بالتجربة. إننى بطبيعة الحال لا أريد أن أتطرق إلى إشكالية أخرى تقتضى ضمناً بأن سبب عدم وصولنا إلى تحقيق الوعد الإلهى يرجع إلى الإنغماس في الأعمال الشريرة مراراً وتكراراً كالسرقة، أو الكذب، أو السقوط في خطية الزنا.

من المؤكد أننا معرضون لفعل مثل هذه الأشياء، وإذا اخترنا بإرادتنا مثل هذا النوع من الحياة سيؤدى هذا بدوره إلى عدم تحقيق الوعد بدلاً من الحصول على إتمامه.

إن الكلمة اليونانية التى نترجمها «تجربة» (Temptation) في الكتاب المقدس تعني أننا نوضع موضع اختبار ـ سواء كان المقصود منها صالحاً أو خبيثاً.

المقصود من التجربة هو معرفة ما يدور حقاً في قلوبنا.

إن التجربة ليست خيراً أو شراً في حد ذاتها، إنها ببساطة توضع كبرهان أو اختبار يُعَوَّل عليه. وهذا يظهرنا فعلاً على حقيقتنا.

على سبيل المثال، يجب أن يُعامل الفولاذ بالحرارة ويتم اختياره تحت درجات ضغط متفاوتة لكى يظهر مدى استجابته للغرض المقصود منه.

تختبر التجربة ما هو رد فعلنا إزاء موقف متعلق بوعد حبانا به الله. إذا كان رد فعلنا حسب ما جاء بالكتاب المقدس، فإن تحقيق الوعد يصبح ممكناً لنا.

لا يمكننا الحصول على أى وعد عن طريق المكسب أو الإستحقاق، وذلك لأن هبات الله دائماً مجانية.

ولكن مازال السؤال قائماً : هل نحن مؤهلون أم لا لنوال مواعيد الله؟

إن الفولاذ الذى لم يتم التعامل معه، إذا تعرض لضغط شديد جداً ـ سوف ينكسر. كذلك تحقيق الوعد، بدون إعداد، يمكن أن يعرضنا للكسر أيضاً.

هل يمكنك أن تدرك بأن هناك سبباً للتجربة؟ الغرض منه هو ليس أن تكون الحياة عصيبة أو شاقة، ولكن على العكس، المساهمة في الإعداد المطلوب لنوال الأشياء الصالحة التى يرغب الله في أن يهبها لنا وبهذا المنظور، فإن التجربة ليست شيئاً مخيفاً أو شيئاً لابد من تجنبه، ولكن على العكس إنها جزء ضرورى لحياتنا المسيحية؛ وعلينا ضرورة فهمه ومواجهته بفرح وتلهُف. على أى حال فإن التجربة مصممة لإعدادنا لنوال ما نتوق إلى الحصول عليه؛ والكتاب المقدس هو مرجعنا

في ذلك. فعندما نقلب صفحاته سنجد فيه أن غرض التجربة ومبدأها مشروحاً وواضح تمام الوضوح ابتداءً من العهد القديم وفي كل صفحات العهد الجديد.

هناك باقة من الاختبارات سوف تظهر كيف قدمت لنا التجربة نقطة التحول التى تحدد نجاح أو فشل اختبار تحقيق الوعود.

لا يمكن أن نعرِّف الحياة المسيحية بطرق معينة، وكذلك لا يمكننا اكتشاف صيغة معيّنة لكيفية مواجهة التجربة كى نصل إلى إتمام وعود الله. ومع ذلك، سنكتشف أن الله يعمل دائماً وفقاً لمبادىء محددة تحديداً تاماً.

وعندما نفهم هذه المبادىء ونتعلم كيفية تطبيقها علي حياتنا، يمكننا أن ننتقل إلى مرحلة أخرى، وننمو في جدة الحياة كما يقدمها لنا الكتاب المقدس.

الآن حالاً، وقبلما نتوغل أكثر في موضوعنا ـ لماذا لا تطلب من الله أن يفتح ذهنك على هذه الإمكانية المثيرة، وتقول معى: «علمنى يارب طرقك».

الفصل الثانى

وعـــود مشروطـــة

هناك موقف يشتمل على تجربة يقف بيننا وبين إتمام كل وعد من وعود الله. هيا بنا نقترب أكثر لبعض الوعود الأساسية التى يقدمها الله لكل مَنْ يأتى إليه ونتعرف إلى أى مدى تدخل التجربة إلى المشهد. مع الارتباط بالوعد. وفي رأيى لا شيء أكثر حزناً من مؤمنين أخضعوا أنفسهم لفكرة خاطئة بأن الله إما غير قادر أن يسكب بركاته علينا اليوم، أو أنه لا يريد ذلك!

إذا استمعت إلى حديث بعض المسيحيين لظننت أن الله بخيل وقابض اليد يقطر علينا من بركاته الوفيرة فقط بما يكفى أن نواصل حياتنا في هذا العالم، أو أنه غير عادل إذ يمطر بغنى على البعض، دون البعض الآخر، أو يشفى البعض ويترك البعض الآخر حسب هواه الغامض.

يصور الكتاب المقدس الله على أنه يحب ويسرع في منح أشياء رائعة بدون تفضيل أو تحيز.

كثيراً ما يشار إلى الكتاب المقدس على أنه كتاب وعود، لكنه أيضاً كتاب عن كيفية تحويل الوعود إلى تمام التحقيق ولا يوجد وعد عقيم في الكتاب المقدس كله.

نقرأ في (لو ١:٣٧) بخصوص ذلك: «لأَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ غَيْرَ مُمْكِنٍ لَدَى اللهِ» ولا توجد كلمة من الله بدون قوة أو استحالة تحقيقها.

أول حالــة اختبار نتعرض لها في موضوعنا هي جماعة شــعب الله المختار. لقــد أخرجهم الله من عبودية المصريين لكى يأتى بهم إلى أرض تفيض لبناً وعســلاً. ولكن وعده «فَاسْــمَعْ يَا إِسْــرَائِيلُ وَاحْتَرِزْ لِتَعْمَلَ، لِكَــيْ يَكُونَ لَــكَ خَيْرٌ وَتَكْثُرَ جِــدًّا، كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ إِلــهُ آبَائِكَ فِي أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَــلاً.... وَمَتَــى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلَى مُــدُنٍ عَظِيمَةٍ جَيِّدَةٍ لَمْ تَبْنِهَــا، وَبُيُوتٍ مَمْلُوءَةٍ كُلَّ خَيْرٍ لَمْ تَمْلأْهَا، وَآبَارٍ مَحْفُورَةٍ لَمْ تَحْفِرْهَا، وَكُرُومٍ وَزَيْتُونٍ لَمْ تَغْرِسْهَا» (تثنية ٦:٣، ١٠، ١١).

تذكــر أنــه برغم أننا نتحــدث عن شــعب معين في مــكان وزمان محدديــن في التاريخ، فإن نفس الوعود تنطبق علينا اليوم، باعتبار أننا شــعب الله الروحــى. إن الله يريد أن يخرجنا مــن أى عبودية كنا فيها ســواء عبودية نفســية أو روحية أو جســدية لكى يأتى بنا إلى «أرض تفيض لبناً وعسلاً».

وهذه صورة لفيض النعمة (روحياً وجسديا) التي يذخرها لنا في هذه الحياة. ألا تتفق معى بأنها صورة حقيقية تماماً؟ إن الله يريد أن يهبنا كل شــىء من الممكن أن نكون في حاجة إليه. أشــياء نحصل عليها بدون أن نتعب أنفسنا في ذلك! ثم استمر موسى يقول لشعبه «أَنْ يَنْفِيَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ. كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» (١٩). وهذا يعنى وببساطة، في لغتنا اليوميــة، بأن الله يريد اقتيادنا إلي موقف ـ روحى وجســدى ـ من خلاله يقــدم لنا كل ما نحتاجه ـ الوظيفــة، البيت، الأصدقاء، الملابس، الطعام، الطمأنينة ـ كل شىء قد ترغب فيه قلوبنا؛ ولكى نحصل على كل هذا لا يتحتم علينا أن نعمل لكى نصل إليه ـ أو نكسبه ـ أو نستحقه.

لـو كـان الأمـر بمثل هـذه البسـاطة، فإننـى أتسـاءل لمـاذا لم يدخـل الإسـرائيليون أرض الموعد؟ أنت وأنا نعـرف الكـتاب المقدس جيداً بما فيه الكفاية التى تجعلنا على معرفة بقصتهم المألوفة.

لقـد كانوا يتجولون في البرية لمدة أربعين سـنة وكانوا متذمرين وشـاكين طوال الطريق، والجيل الأول بأكمله ممن اعتقوا من العبودية (باسـتثناء اثنين هما يشـوع وكالـب) ماتوا في البريـة قبل أن يقدر أولادهـم علـى دخـول الأرض. وأيضـاً ـ لـو كانت الأمـور بمثل هـذه البساطة ـ لماذا لا نسكن أنا وأنت أرض موعدنا حالاً والآن؟ بدلاً من أن يسـير كل منا في برية خاصة به ربما متذمراً وشاكياً! وبعض منا ربما يهلكـون هناك على الأرجح بدون حتى أن يقتربـوا من الحياة الرائعة التى وعدنا الله بها.

بـادىء ذى بدء، لنلقى نظـرة أخرى على الوعد الـذى كان ينتظر شعب الله. إننا نقع كثيراً جداً في الخطأ الشائع الذى فيما يبدو قد وقع فيه هؤلاء الناس وهو أن نفصل الوعد من الإطار المؤيد والمعضد له والذى يحيط به. «فَاسْـمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ وَاحْتَرِزْ لِتَعْمَلَ. لِكَيْ يَكُونَ لَـكَ خَيْرٌ وَتَكْثُرَ جِدًّا، كَمَا كَلَّمَكَ الرَّبُّ إِلهُ آبَائِكَ فِي أَرْضٍ تَفِيضُ لَبَنًا وَعَسَـلاً. «اِسْمَعْ يَا إِسْرَائِيلُ: الرَّبُّ إِلهُنَا رَبٌّ وَاحِدٌ. فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ. وَلْتَكُنْ هذِهِ الْكَلِمَاتُ الَّتِي أَنَـا أُوصِيكَ بِهَا الْيَوْمَ عَلَى قَلْبِكَ، وَقُصَّهَـا عَلَى أَوْلاَدِكَ، وَتَكَلَّمْ بِهَا حِينَ تَجْلِسُ فِي بَيْتِكَ، وَحِينَ تَمْشِـي فِـي الطَّرِيقِ، وَحِينَ تَنَامُ وَحِينَ

تَقُومُ، وَارْبُطْهَا عَلاَمَةً عَلَى يَدِكَ، وَلْتَكُنْ عَصَائِبَ بَيْنَ عَيْنَيْكَ، وَاكْتُبْهَا عَلَى قَوَائِمِ أَبْوَابِ بَيْتِكَ وَعَلَى أَبْوَابِكَ. «وَمَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي حَلَفَ لآبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أَنْ يُعْطِيَكَ، إِلَى مُدُنٍ عَظِيمَةٍ جَيِّدَةٍ لَمْ تَبْنِهَا، وَبُيُوتٍ مَمْلُوءَةٍ كُلَّ خَيْرٍ لَمْ تَمْلأْهَا، وَآبَارٍ مَحْفُورَةٍ لَمْ تَحْفِرْهَا، وَكُرُومٍ وَزَيْتُونٍ لَمْ تَغْرِسْهَا، وَأَكَلْتَ وَشَبِعْتَ، فَاحْتَرِزْ لِئَلاَّ تَنْسَى الرَّبَّ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. الرَّبَّ إِلهَكَ تَتَّقِي، وَإِيَّاهُ تَعْبُدُ، وَبِاسْمِهِ تَحْلِفُ. لاَ تَسِيرُوا وَرَاءَ آلِهَةٍ أُخْرَى مِنْ آلِهَةِ الأُمَمِ الَّتِي حَوْلَكُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكُمْ إِلهٌ غَيُورٌ فِي وَسَطِكُمْ، لِئَلاَّ يَحْمَى غَضَبُ الرَّبِّ إِلهِكُمْ عَلَيْكُمْ فَيُبِيدَكُمْ عَنْ وَجْهِ الأَرْضِ. لاَ تُجَرِّبُوا الرَّبَّ إِلهَكُمْ كَمَا جَرَّبْتُمُوهُ فِي مَسَّةَ. احْفَظُوا وَصَايَا الرَّبِّ إِلهِكُمْ وَشَهَادَاتِهِ وَفَرَائِضِهِ الَّتِي أَوْصَاكُمْ بِهَا. وَاعْمَلِ الصَّالِحَ وَالْحَسَنَ فِي عَيْنَيِ الرَّبِّ، لِكَيْ يَكُونَ لَكَ خَيْرٌ، وَتَدْخُلَ وَتَمْتَلِكَ الأَرْضَ الْجَيِّدَةَ الَّتِي حَلَفَ الرَّبُّ لآبَائِكَ أَنْ يَنْفِيَ جَمِيعَ أَعْدَائِكَ مِنْ أَمَامِكَ. كَمَا تَكَلَّمَ الرَّبُّ» (تثنية ٦:٣ ـ ١٩).

عندما نقرأ سفر التثنية مرة ثانية ألا تتفقون معي بأن الوعود تبدو مختلفة قليلاً عندما توضع في سياقها الصحيح؟ لنستمع إلى وعد آخر وارد في (إشعياء ١:١٩) «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض».

ماذا يقول الله؟.

هل تلاحظ هنا بعض أدوات الشرط مثل: إذا ـ لو ـ إن ؟ في حالة تذكير موسى لشعب الله بوعود الله، يقول: «احرصوا على العمل

بهذه الوصايا». هذه هى الوصايا التى أعطاها الله لموسى وهى الوصايا العشر.

يمكننا أن نركز نصيحته ونقول: «اعملوا بالوصايا، فأحبوا الرب إلهكم من كل قلوبكم ونفوسكم وقوتكم، إياكم أن تنسوا الرب إلهكم الذى منحكم كل هذا، احفظوا وصايا الرب وشروطه وأحكامه التى أمركم بها، واصنعوا ما هو صالح ومرضى لدى الرب لتزدهروا وتدخلوا وترثوا الأرض التى أقسم الرب لآبائكم، أن يطرد جميع أعدائكم من أمامكم».

كيف يمكننا أن نوفق بين هذين الفكرين؟ يقول الله ـ من ناحية ـ بأنه يريد أن يقدم لنا أشياء عظيمة والتى لا يتحتم علينا أن نتعب لنوالها. ومن ناحية أخرى يقول إننا لا يمكننا أن ننال الوعود العظيمة إلا إذا قمنا بعمل أشياء معيّنة.

هل هناك اختلاف في الأمر؟..

لو نظرنا للأمر بأكثر تحديد، هل هذا متناسق (أو متناغم) مع العهد الجديد الذى يخبرنا بأن الله بذل ابنه الوحيد، يسوع المسيح، كعطية مجانية، وبقبوله مخلّصاً شخصياً لحياتنا، لم يعد عقابنا هو الموت جزاء خطيتنا؟

فبدلاً من عقاب الموت، جاءت إلينا البشارة بأنه يمكننا نوال هبة نعمة الله، وغفرانه، وحياة أبدية في المسيح.

هذا يأتى بنا إلى إشكالية ربما من أكثر القضايا جدلاً في الحياة

المسيحية. «الناموس في مقابل كل شيء بالنعمة». هناك مجموعات من المؤمنين ينتمون إلى كل من طرفي الصراع: أولئك الذين يميلون إلى التأكيد بشدة على القوانين التى تنادى بمبدأ أنه علينا أن نسلك وفقاً لقواعد وتنظيمات معينة لكى نكون في موقف صحيح مع الله.

والطرف الثانى الذين يعتنقون فكرة أنه تحت مظلة العهد الجديد (العهد الذي ختمه الرب يسوع على الصليب)، لا يمكن كسب عطايا الله عن طريق حفظ قواعد وتنظيمات معيّنة فكل شيء مجاناً في المسيح!

أينبغى علينا أن نكون في تحزبات وصراعات؟ حاشا، لا يسمح الله! وأى موقف متطرف ليس صحيحاً؛ إلا أن كل فكر من الفكرين يعتريه بعض من الصحة، لكنه يذهب بعيداً جداً.

وقد يحدث الخطأ بسبب المغالاة أو الإهمال.

إن الله لا يريد منا التمسك بالشرائع والقوانين (الناموسية) لكنه أيضاً لا يريد منا عدم الطاعة!

في واقع الأمر إن كل شيء أعطاه الله لنا يعتبر هبة مجانية. لا يمكننا نوال أى شيء بصلاحنا أو مجهوداتنا؛ ومع ذلك فإن هبات الله لا يمكن نوالها إلا تحت شروط معيّنة. إذا كان يلتبس عليك الأمر، دعنا نلقى نظرة على بعض الوعود الموجودة بالعهد الجديد.

«ولكن، إن ثبتم فيَّ، وثبت كلامى فيكم، تطلبون ما تريدون فيكون لكم» (يوحنا ١٥:٧). هنا يتحدث الرب يسوع شخصياً ويقدم وعداً جديراً

بالاهتمام. ولكن عليك أن تلاحظ الأداة «إن» والتى تعنى أن هناك شرطاً لكى يتحقق الوعد. والواقع، إننى لا أعرف ـ أى وعد بالكتاب المقدس غير مرتبط بشرط.

فكر ملياً في وعد الخلاص:

«هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ...» (يوحنا ٣:١٦).

إن بعض الناس في هذا العالم سيهلكون لأنهم لم يتمموا شرط الخلاص المقدم كعطية مجانية لِمَنْ يختار لكى يؤمن.

تفسر إحدى ترجمات الكتاب المقدس مصطلح الإيمان كالتالى: «أى شخص يثق ويتمسك؛ ويتكل على الرب يسوع». إن الكلام هنا ليس مجرد خدمة شفاه بقدر ما هو اتكال شخصى واعتماد كلى على المسيح في كل جانب من جوانب الحياة، وهذا هو الشرط.

إن الشرط يصف دائماً كيفية تحقيق الوعد، فتحت هذه الشروط الموصوفة فقط يمكن أن يصبح الوعد واقعاً معاشاً. وإذا ما أخذنا وعداً آخر للرب يسوع:«أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو ١٥:٥). يمكننا أن نلاحظ أن الوعد هو أن إنتاجنا سيكون ثمراً كثيراً ولكن بشرط أن نثبت فيه وأن نسمع له لكى يثبت فينا. ويستمر الرب يسوع موضحاً السبب في ذلك: «لأنكم بدونى لا تقدرون أن تفعلوا شيئاً. إن كان أحد لا يثبت فىَّ يُطرح خارجاً كالغصن فيجف؛ ويجمعونه ويطرحونه في النار فيحترق».

إن ضرورة وجوب الشرط أمر بسيط للغاية وهو أنه بمعزل عن يسوع المسيح لا يمكن أن يكون لنا ثمر روحى!

كانت أسباب وضع شروط للوعود المقدمة لشعب الله، مماثلة لذلك وهى أنه بمعزل عن الله لن يكونوا قادرين على امتلاك الأرض والاستمتاع بنوع الحياة التى أرادها الله لهم.

هل تلاحظ أن هناك شرطاً في «إن شئتم وسمعتم....» قبل الوعد «تأكلون خير الأرض»؟.

وهذا يرجع إلى الحقيقة بأن الله كان يعرف أنهم إذا ما حاولوا فعل ذلك بطريقتهم الخاصة، سيجنون الفشل الذريع في النهاية.

إن طاعتهم لله كانت بقصد تقليل اعتمادهم على قوتهم ومصادرهم الخاصة، وزيادة اعتمادهم على الله.

حاشا لله أن يكون مستبداً ويجبرنا على أن نطيعه مرتعدين، ولكن لأنه يحبنا ويعرف طبيعتنا جيداً، ويرى أنه ـ بتركنا لرغباتنا ـ دائماً تتعقد لدينا الأمور.

عندما قال الرب يسوع: «... بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا» (يوحنا ١٥:٥)، كان يقصد بأنه بعيداً عنه لا نقدر حقاً أن نفعل أى شىء جديراً بالاهتمام وباقٍ. إننا لا نستطيع فقط أن ننتج نوع الثمار الذي يقدر أن ينتجها فينا ومن خلالنا إلا عندما نقترب منه أكثر ونتكل عليه.

إننا بحاجة أن نكف عن اكتفائنا الذاتى لكى نصل إلى موضع

في اختبارنا المسيحى نتوقف فيه عن جهودنا الدعوية ونترك له العمل كليةً.

حقيقة أخرى حاول الرب يسوع أن يغرسها في تلاميذه وهى أنهم إذا ما آمنوا به فإنهم يوماً ما سيعملون أعمالاً أعظم من الأعمال التى كان يعملها هو. ذات يوم سأل التلاميذ الرب يسوع: «ماذا نفعل حتى نعمل أعمال اللّٰه؟». أجاب الرب يسوع «هذَا هُوَ عَمَلُ (خدمة) اللّٰهِ: أَنْ تُؤْمِنُوا بِالَّذِي هُوَ أَرْسَلَهُ»، أى أن تلتصقوا به، وتثقوا فيه وتتكلوا عليه ويكون لكم الإيمان بمَنْ أرسله (يوحنا ٦:٢٨، ٢٩). قال يسوع لهم ـ ويقول لنا اليوم ـ بأنه عندما نتخلى عن عمل الأشياء بقوتنا الذاتية وندرك نقصنا، حينئذ يمكننا أن نجعله يعمل من خلالنا.

إننا كمؤمنين ندرك في قرارة أنفسنا أن ما نعمله بقوتنا الذاتية «للرب»، لا يمكن أن يزيد عن صفر أو لا شىء. قد نشغل أنفسنا في بناء الكنائس، وتنظيم الكرازة، والنهضات، والاجتماعات للنهوض بمدارس الأحد، ولكننا لا نقدر أن نُخلِّص أى شخص؛ كما لا يمكننا شفاء مريض ولا يمكننا أن نعطى الراحة للقلب المنكسر أو أن نعطى البصيرة للأعمى أو أن نحرر شخصاً من سجن خطاياه وذنوبه.

لا يمكن أن يتحقق ذلك إلا عندما نصل إلى الاعتماد الكلى على الرب يسوع وأن نتكل عليه ونطيعه بالكلية. عندما نفعل ذلك ونتحرر من مجهوداتنا الذاتية، نرى يسوع يخلِّص الآخرين عن طريقنا، وكذلك من خلالنا يشفى ويريح الآخرين ويحررهم من خطاياهم. إنه يفعل ذلك من خلال استعدادنا وطاعتنا لأمره.

هذه هي الطريقة الوحيدة التى بها ندخل إلى أرض موعدنا، لأن أرض الموعد هى مكان الراحة ولا يوجد هناك ثمة أعمال دءوبة. نجد في سفر العبرانيين (٤:١ ـ ١١) وصفاً لوعد الله فيما يتعلق بمكان الراحة وكيفية دخولنا إليه. ثم عاد فقال: «لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي» (عب ٤:٣)!

قد يكون المقصود بالراحة هنا هو الراحة الأبدية، لكن الرب يسوع يريد أيضاً أن يريحنا هنا ويريدنا أن نتخلى تماماً عن مجهوداتنا الذاتية، ونعطيه الفرصة لكى يعمل هو من خلالنا. إن أرض موعدنا اليوم هى مكان الراحة التى فيها نسكن مدناً لم نبنها وننال أشياء عظيمة لم نعمل من أجلها، لأن الله وحده هو الذى يقوم بالعمل من أجلنا ومن خلالنا، فمن الناحيتين الجسدية والروحية، نجد أنه يستحيل عليه أن يفعل ذلك إلا عندما نتخلى عن محاولاتنا التى نقوم بها من أنفسنا.

إن الشرط الذى يقدمه الله لنا، هو أن نكون مستعدين للتخلى عن طرقنا وأعمالنا الذاتية، ونكون خاضعين لكل من أوامره لأنه ساكن فينا ويعمل من خلالنا. علينا أن نرى وعود الله وهي مرتبطة بشروطها. إنه في وسط رد فعلنا إزاء الشروط، تدخل التجربة في المشهد، بمعنى أن التجربة ترتبط بالوعد من خلال الشرط.

عندما يمنح الله وعداً مشروطاً، فهو يقول «سأحقق لك هذا إذا ما قمت بعمل ذلك». تقدم لنا التجربة آنذاك اختياراً إما أن:

(١) نتمم شرط الله.

أو (٢) نتجاهله ونهمله.

إذا كنـــا نتمم هـذا الشـــرط، يمكننا أن نصل إلـــى تحقيق الوعد، أى أرض الموعـــد. لكن إذا أهملنا هذا الشـــرط، لن يكـــون بمقدورنا أن ننال تحقيق الوعد.

وإذا مـــا رجعنا إلى رســـالة العبرانيين يقول الله: «لِذلِكَ مَقَتُّ ذلِكَ الْجِيلَ، وَقُلْتُ: إِنَّهُمْ دَائِمًا يَضِلُّونَ فِي قُلُوبِهِمْ، وَلكِنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا سُبُلِي، حَتَّى أَقْسَمْتُ فِي غَضَبِي: لَنْ يَدْخُلُوا رَاحَتِي» (عب ٣: ١٠، ١١).

إن وعـــود الله حقيقيـــة وكذلك شـــروطه. لا يزال ثمـــة أرض موعد تنتظـــرك وتنتظرنى؛ وقرار الوصول إلـــى هناك هو اختيار فردى. لا تخف بل قـــم وغامر بالدخول لكى تصل إلى مقاصـــد الله من ناحيتك وهى أرض موعدك!

الفصل الثالث

عقـــدة البريـــة

لماذا يضع الله «منطقة البرية» بيننا وبين أرض الموعد؟

بالنسبة لشعب الله كانت حقيقة جغرافية وهى أن البرية تقع بين البحر الأحمر وكنعان، أرض موعدهم بحسب التوراة، إذ أنهم لا يمكنهم الوصول إلى كنعان إلا عن طريق البرية.

وبالنسبة لنا فالبرية ليست حقيقة جغرافية، مع أن هذا لا ينفى وجودها كبرية حقيقية تماماً!

إن بين الوعد وإتمامه بصورة حقيقية، تقع برية جسدية وروحية، وهى تتكون من مشكلات، وصعوبات، وخلط بين الأشياء. ومما لا شك فيه أن التجربة تدخل في هذه المنطقة كمحور ارتكاز.

لقد رأينا أن التجربة ترتبط بالوعد من خلال الشرط. إننا في البرية قد نصل إلى الحد الذى نسأل فيه عن مدى شرعية الشرط، وفي أوقات أخرى عن مدى شرعية الوعد نفسه. يجب أن تكون هناك إجابة عن مثل هذا السؤال قبل أن ننتقل إلى تحقيق الوعد. إن الله وضع في طريقنا اختبار البرية لكى نصل إلى هذه المواجهة؛ ويلزمنا الآن أن ندرك شرعية شروطه ونتممها قبل أن ننتقل إلى مرحلة أخرى.

قد يأخذ البعض منا ذلك الأمر بصورة جدية ومحددة باعتبار أنهم

يفكرون بطريقة أن محبة الله تتصف بأنها لا يمكن أن تمنع إتمام الوعد، فقط بسبب أن الشرط لم يُوف تماماً. وقد نسأل أنفسنا «ألَمْ يهتم يسوع بكل شيء عندما مات لأجلنا على خشبة الصليب؟ أَوَ لَمْ يسدد يسوع ديوننا ويتمم شروطنا وبذلك كل ما علينا فعله هو أن نطلب وننال؟

إنه بالتأكيد سيمنحنا الوعود التى طالبنا وتمسكنا بها طيلة هذه السنوات في حالة إذا كنا نحبه ونتلو صلواتنا !!

إذا كان هذا هو تفكيرك، فإنك في خطر القيام بخطأ فادح، فالوعود التى تنتظرها قد لا تنالها إطلاقاً. إننى مقتنع بأنه لو كان ذلك ممكناً بأية حال، لأعطانا الله كل شيء نطلبه بلا شروط؛ ولكنه لا يفعل ذلك، لأنه إن فعل، فإن ذلك سيدمرنا.

لقد قال چون روكفيلر ذات مرة ما هو خلاصته: «إننى نادراً ـ وإن لم يكن قط ـ قد وجدت فرصة لتقديم أشياء كثيرة دون التسبب في أذية الناس». فإذا كان چون روكفيلر قد شعر بمثل ذلك، ماذا تظن عن شعور الله؟

أول مرة قرأت فيها عن وعد الله بالأرض التى تفيض لبناً وعسلاً، أرض تنتظرنى أنا شخصياً ـ قلت: «يارب، إن هذا رائع حقاً! إننى عازم وخاضع ومستعد لها!» ثم بطريقة ما تحدث الله معى قائلاً: «لا يا بنيَّ، أنتَ غير مستعد!».

كانت إجابتى: «لماذا لا؟»

وهنا سمعته يقول لى: «يا بنى، الشىء الوحيد الذى لا تستطيع أن تقاومه الآن هو النجاح». ولكننى جادلته: «لماذا أنا بالذات يارب؟.. إننى أقدر على المقاومة والثبات. أعطنى ميراثى حالاً الآن».

وهنا سألنى الرب: «إذا ما أخذت ميراثك الآن قد تكون مثل الابن الضال».

كيف دخل الابن المبذر في مشكلة؟ عن طريق استعجاله الشديد لميراثه!

عندما كان كل هذا المال في جيبه، نسى كل شىء عن أبيه. إن الكثير جداً والسريع جدا هو الذى أوشك على تدميره، وسوف يفعل معنا أيضاً كذلك. «رُبَّ مُلْكٍ مُعَجَّل فِي أَوَّلِهِ، أَمَّا آخِرَتُهُ فَلاَ تُبَارَكُ» (أم ٢٠:٢١).

إذا ورث شخص غير ناضج وهو غير مهيأ بعد، مليون دولار، فإن ذلك قد يدمره. كما أنك لا تكلف ابنك بمسئولية رئاسة أعمالك عندما يكون في الخامسة عشرة من عمره، لكنك تسمح له ببعض الأعمال البسيطة، وعندما يثبت بأنه جدير بالمسئولية فإنك تكلفه بمسئولية أكبر.

إن هذا ينطبق تماماً على الممتلكات المادية والغنى الروحى أيضاً.

إن إلهنا السماوى يريد منا أن نكون أفراداً ناضجين روحياً. إنه يريدنا أن نكون شهوداً له في العالم أجمع.

إنه يريد أن يعظ بنا عظات قوية، لكى يظهر من خلالنا قوته ومحبته للعالم؛ لكنه لا يريد أن يسكب علينا الكل دفعة واحدة قبل أن نكون ناضجين بدرجة كافية لتحمل المسئولية.

مـا رأيـك بخصـوص مـا سـيحدث لى لو أن رجلاً موسراً قـال لى: «يا مامفورد، أعتقد أنك أعظم معلم سمعت عنه. إنك تقدم عملاً رائعاً للرب. إننى سأرسل لك خمسة آلاف دولار شهرياً مدى حياتك، وسأجعلك تعيش مع عائلتك في فيلا جديدة على الشاطىء، وسأعطيك سائقاً خاصاً لسيارة كاديلاك جديدة كل عام!».

يمكننى أن أخبرك ما الذى سيحدث لأننى أعرف قلبى. سأبدأ في التفكير كما يلى: «لى أنا شخصياً، أنا لست أكثر من فتى صغير، من حسن حظى أن أكون موضع عناية الله الحلو».

ثم رويداً رويداً سوف أنسى أن الله هو مصدر كل شىء أنا فيه وحصلت عليه، ثم أبدأ في التفكير بأننى كنت السبب في أن الأشياء كانت تسير على ما يرام.

لقد حذر موسى الإسرائيليين من أربعة أشياء قد تحدث عندما أخذوا كل شىء بوفرة وأكلوا حتى شبعوا .. هل هذه لها علاقة بنا اليوم؟

(١) إنهم نسوا الله بسهولة.

(٢) لقد نسبوا حياتهم الجميلة إلى مصدر آخر غير الله.

(٣) أغاظوا الله واستغلوا طول أناته.

(٤) جربوا الله وامتحنوه.

لقد أصبح الأمر في غاية البساطة الآن لكى نرى كيف يمكن لأى شخص أن ينسى الله أو أن ينسب النجاح إلى مصدر آخر غيره، عندما

يحالفنا النجاح والغنى. عندما يصل رجل أعمال إلى قمة نجاحه المهنى، أو يفوز سياسى بالأغلبية الساحقة في انتخاب ما، يمكن أن يُجرَّب فيعتقد أن كل ما حدث كان بسبب أنه قام بعمل جيد أو لأنه إنسان عظيم.

ولكن كيف يمكننا أن نغيظ الله؟

لقد أغاظ الإسرائيليون الله لأنهم كانوا يطلبون أكثر مما كان الله يريد لهم أن يحصلوا عليه آنذاك. لقد أرادوا مكانة أعظم مما كان يريد أن يعطى لهم.

هذه هى التجربة التى نواجهها نحن أيضاً عندما تزدهر الأمور لدينا.

إن المؤمنين الأحداث يكونون فرحين جداً بحداثة إيمانهم ومقتنعين بأن الله يقدر وسوف يقدم لهم أى شىء يطلبونه، ويحاولون بشتى الطرق البحث عن موقف يظهرون فيه قوة الله للآخرين.

هذا ما حدث لى شخصياً أثناء السنة الأولى بكلية اللاهوت. لقد بدأت أفهم القليل من الآيات الكتابية بخصوص الشفاء الإلهى. لقد كنت مقتنعاً بأن الله يمكن أن يشفى أى شخص في أى وقت!

ذات مرة كنت مكلفاً كطالب بخدمة معيّنة للكنيسة بالقرب من الكلية، وإذ بى وجهاً لوجه مع رجل مقعد على كرسى. لقد كان مريضاً لسنوات عديدة، وكنت أتوق أن أرى مجد الله، فخطوت إلى الأمام نحو الرجل، آمراً إياه بصوت قوى: «باسم يسوع، كن معافى وقف منتصباً!».

لا شيء من هذا حدث، وكانت صدمة لي، وكذلك فإن الرجل الذى ارتفعت آماله لحظة، شعر بأن إيمانه قد اهتز.

لقد اندفعت بدون تروٍ في عدم نضجى مطالباً بمعجزة أو علامة. لم يرد الله بأى طريقة كانت، أن يقوم بها في الحال وهناك بالذات.

إن الله قادر على الشفاء. لقد رأيت بنفسى قوة شفائه في أمثلة كثيرة ولكن في هذا الوقت بالذات وقفت في تجربة لو شفى الله هذا الرجل في ذلك الوقت، لن يكون ذلك بسبب إخلاصى وخضوعى، ولكن لأنه رغب في ذلك، فمن المحتمل وقوعى في الغرور بسبب «روحانيتى» العالية، وأننى «الرجل المعجزة». لقد كنت في خطر محدق أبعد ما يكون لتدمير نفسى والآخرين قبل أن أتعرض لهذه الحادثة. عندما يتعثر ويسقط أولئك الذين ينالون بركات مادية أو روحية كثيرة؛ فذلك ليس لأنه الغنى في حد ذاته بالنسبة لهم خطر أو مدمر ولكن لأن الذين ينالون ذلك لم يحصلوا على إعداد كافٍ للتعامل مع الموقف.

إن دراجة ذات عشر سرعات لهدية رائعة وكذلك منشاراً كهربائياً. هل رأيت قبل ذلك صغيراً يتعرض لرضات (سحجات) سيئة عندما يستخدم فجأة المكابح لهذه الدراجة ذات السرعات العشر؟

أو ربما سمعت عن شخص يقطع إصبعه بمنشاره الجديد القوى؟

هل رأيت أسرة ازدهر حالها بطريقة فجائية وباختصار صار أطفالهم يقودون دراجاتهم البخارية الجديدة بطريقة طائشة، ثم فشلوا في صفوفهم الدراسية بالمدرسة، وتحطم الزواج على الصخور، وهروب الزوجة مع رجل آخر؟ يا ترى، ما هو رد فعلك؟

يمكنك أن تقول: إن الدراجات ذات العشر سرعات والمناشير الكهربائية خطيرة ولذا لن أقتنى أياً منها. إن الرخاء يؤدى إلى البؤس ولهذا فإننى أتمنى ألا أكون غنياً أبداً». أو أنك تقول: «إننى أرى الحاجة إلى مهارة لركوب دراجة ذات عشر سرعات وكذلك مع استخدام المنشار الكهربى. من الأفضل أن أتعلم كيفية التعامل مع هذه الأشياء قبل اقتناء أى منها. وتعلم مسئولية التدبير والإشراف حتى أكون جاهزاً ومستعداً إذا ما أوكلنى الله على أمور أخرى أكثر في الحياة».

إن رد الفعل الأول «إننى لن أركب دراجة ذات عشر سرعات».

إن هذا ينبثق من شىء أدعوه «عقدة البرية».

لقد شاهدنا آخرين تعرضوا للأذى بعد وصولهم إلى درجة نجاح معيّنة، وبناء عليه، فإننا نحسب أنفسنا أننا أكثر أماناً عندما نكون فقراء ومعوزين.

لقد راقبت بعض رفقائى المعاصرين الذين وصلوا إلى قمة الشهرة والمركز الاجتماعى في كنائسهم، ثم فشلوا فيما بعد. وكنتيجة لذلك نَمَتْ لدىّ عقدة البرية إلى مدى بعيد. لقد كنت بأمانة أخشى النجاح وكنت خائفاً بأننى سأنسى الله لو حصلت عليه، وسوف أصاب بالغرور وأتعثر لذلك صليت: «يارب، اجعلنى دائماً منكسراً ومتضعاً، ونصف مريض؛ واجعلنى أقود سيارة قديمة حتى أظل متكلاً عليك وأميناً. ولكن لا تباركنى يارب لأننى أعرف بعدم مقدرتى لمقاومة ذلك!».

لقد كان الإسرائيليون يسيرون في دوائر لا نهائية في البرية. لقد

اختبروا معجزات الله الرائعة وأكلوا حتى شبعوا ونسوا الله في الحال أو حاولوا أن يجربوا طول أناته بأن طلبوا منه المزيد؛ وكانوا مراراً وتكراراً يفعلون نفس الشيء. ونتيجة لذلك كانت خبرتهم في البرية سلسلة من المشكلات بلا حلول مُرضية.

إننا نرى بعض النتائج المشئومة قد وصلت إلى السائرين في بريتنا المعاصرة وما ننتهي إليه هو أننا لا نريد أية بركات.

ونقرر أنه من الأفضل لنا أن نظل في حالة احتياج مستمر حتى لا ننسى اتكالنا المستمر على الله.

لقد نَمَتْ لدينا الفكرة كجزء من عقدة البرية بأن النجاح دائماً يفسد، والجاه أيضاً يتلف دائماً، وأن الغِنَى أصل لكل الشرور. لقد تعودنا بشدة على السكنى في البرية لدرجة أننا اعتقدنا بأن الله يريدنا أن نبقى هناك بصفة مستمرة. إننا نقبل البرية على أنها الطريق العادى الوحيد في الحياة للشخص المسيحى الروحى.

ونقدم دليلنا على ذلك، بأن يسوع كان فقيراً ودخل إلى أورشليم راكباً على حمار مستعار. ولذلك نقول إننا نشابه المسيح عندما نكون فقراء. ومن الممكن أن نبعد بفكرنا أكثر ونقول إننا نشابه المسيح ومن الروحانية أن نعانى ضيقات مستمرة، وأمراض، ومشكلات مالية، واضطهادات وظروف صعبة. ونقول بأن أفضل شيء نمجد به الله هو أن نجتاز مثل هذه الصعوبات لكى يرى الآخرون صبرنا ويفهمون أن الله يعطينا القدرة لكى نحتمل أحمالنا بدون شكوى.

إن المقيمين باستمرار في البرية ينتقدون أولئك الذين يبدو أنهم يعيشون بطريقة سعيدة في حياة خالية من مشكلات حقيقية ويقولون: «عليكم أن تنتظروا، وسوف يتعامل الله معكم وستفهمون الحياة علي حقيقتها الخطيرة في عالمنا المريض بالخطية؛ وسوف تشعرون بالمعاناة أنتم أيضاً، وبعد ذلك ستدركون معنى كل ذلك وتصبحون روحانيين حقيقيين مثل بقيتنا المطالبين بالمعاناة».

إن هذا شكل من أشكال الاستشهاد المفروض على أنفسنا ومن شأنه أن يبعدك تماماً عن تحقيق وعود الله كما لو كنت متمرداً ظاهرياً، وعاصياً لأوامر الله بطريقة يغلب عليها الغطرسة.

إن الكبرياء أثناء المعاناة والفقر يعتبر كارثة تماماً مثل إصابتنا بالغرور عندما نصل إلى غنى فاحش أو مركز اجتماعى مرموق.

ألا ترى بأن أولئك المؤمنين الذين يقيسون مستواهم الروحى بمنزلتهم المتضعة في الحياة يخطئون تماماً مثل أولئك الذين يقولون بأن الله دائماً ما يذهب إلى الدرجة الأولى (إنجيل النجاح)؟! وبالتالى يقيسون درجتهم الروحية بمدى ما يعطيه الله لهم.

إن هذه النزعة يُطلق عليها «آداب النجاح».

إن كلا الفريقين متطرفان: الفريق الذي يؤمن بعقدة البرية وأولئك الذين يناصرون فريق الازدهار والرخاء، فكلاهما مخطئان.

إن الروحانية أو الاقتراب من الله لا يمكن أن تقاس بوجود أو غياب البركات الروحية أو المادية.

ذات يـوم كان لى صديق أراد أن يخدم الله بأمانة كمرسـل إلى أكثر الهنود فقراً. لقد عاش سـنوات في ظروف فقر شـديدة وكان يوزع كل شـىء يأتـى إليه. ولكن بـدلاً من أن يرسـله الله في الخدمـة الكرازية بالإرسـالية ليواصل معيشته في فقر مدقع، أرسـل الله هذا الإنسان إلى كنيسة مرفهة جداً بضاحية غنية. وهناك كان عليه أن يخدم إلى مجموعة من المدخنين وشريبى الخمر والشامبانيا.

لقد انزعج صديقى انزعاجاً بالغاً بخصوص هذا الوضع الجديد. لقد اعتبر أن ذلك ليس لائقاً بأن يخدم الله في مجال كله رفاهية. لقد وجد نفسـه غير قـادر أن يتجاوب مع الأحداث حتـى فرضها الله عليه، وقال له: «لسـنوات عديدة كنت أكثر اسـتعداداً لتكيف مسـتواك وتعيش عيشة بسـيطة تشـعر وتعانى مع الفقراء. والآن فإننى آمرك لتكيف مسـتواك للمعيشـة المرتفعة حتي يمكنك أن تصبح رسولاً لى لهؤلاء الناس بطريقة يفهمونها ويقبلونها».

إن الله يريد أن يأتى بنا إلى مكان نكون فيه مستعدين ومطيعين في وقت جوعنا كما في وقت شبعنا. لقد تعلم بولس هذا الدرس ويريد أن يعلمه لنا في قوله: «أَعْرِفُ أَنْ أَتَّضِعَ وَأَعْرِفُ أَيْضًا أَنْ أَسْتَفْضِلَ. فِي كُلِّ شَيْءٍ وَفِي جَمِيعِ الأَشْيَاءِ قَدْ تَدَرَّبْتُ أَنْ أَشْبَعَ وَأَنْ أَجُوعَ، وَأَنْ أَسْتَفْضِلَ وَأَنْ أَنْقُصَ. أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (فى ٤:١٢، ١٣).

معظمنـا يعرف الكثير عن كيفية الاتكال على الله في وقت العوز عنـه في وقت الغنـى. إننا لدينا خبرة أكثر للسـكنى فـي البرية عن التلذذ بكل ما هو جميل ورائع فـي أرض الموعد. بينما البرية تعتبر خبرة

طويلـة في حياتنا الإيمانيـة. لكن ليس المقصود هـو أن نظل مقيمين دائماً هناك.

يجب علينا أن نعبر خلال البرية لأننا نريد أن نتعلم الاعتماد على الله. عندما نعتمد عليه اعتماداً حقيقياً، وعندما نتوقف عن نسيانه في وقت الرحب حالما تبدأ أمورنا في التحسن، فلسنا في حاجة إذاً إلى كل ما يجعلنا نتذكر البرية بعد ذلك. آنذاك نتلقى دعوة مفتوحة للدخول إلى الأرض التى تنتظرنا من قبل الرب.

قد يتحقق لنا تتمة وعده في مجال من مجالات حياتنا ونمر على خبرة في البرية في مجال آخر. وهناك اختلاف واضح بين اختبار البرية الحقيقى وعقدة البرية.

لقد اجتزنا أنا وجودى اختباراً في البرية في مجال تدبير الموارد المالية بينما كنت أدرس بعد في كلية اللاهوت.

عندما بدأت أتعلم أن أثق بأن الله سيسدد احتياجاتى المالية، صليت وقلت: «يارب إننى أتكل عليك بالكامل لسد احتياجاتى المالية».

وفي أسرع وقت بدأ الرب في تسديد احتياجاتى المالية عن طريق ما قدمه لى بعض الناس عن طريق البريد. وكان تفكيرى في ذلك الوقت: «شكراً يارب. إنك تسدد كل احتياج بطريقة رائعة» ثم مر علىَّ شهران كنت مترقباً كل يوم فاحصاً بريدي الإلكترونى وكان دائماً خالياً!

لقد كنت قلقاً وتساءلت ما عسى أن يكون هذا من قبل الله؟ أخيراً

أدركـت أنـنـى حولت اهتمامى مـن الاتكال على الله إلـى الاتكال على صندوق البريد.

لقـد عرف الله فكـر قلبى فتوقف عـن إمدادى بالمـال عن طريق البريـد حتى أراجع نفسـى وأفهم بأنه هو المصـدر الحقيقى لكل ما أحتـاج إليه. لقد تعلمت بأن الله يسـتطيع أن يسـدد الاحتياج بأي طريقة يختارها. ولكنه لا يريدنى أن أكون معتمداً على تحقيق الوعد بل عليه شخصياً.

بينمـا نتعلم الاتكال علـى الله في الأمور المالية، نجـد أنها لا تمثل أية مشكلة، سـواء كان الشخص مليونيراً أو يعيش بسعادة معتمداً على دخل قليل أسـبوعياً. إن الاعتماد على الله يجب أن يكون أكثر من كلمات بالفم.

إن الله يرغـب أن يأتى بنا إلى أرض الموعد في كل مجال من مجالات حياتنا. لقد كانت هذه خطته لشـعبه وهذه أيضاً خطته لنا. إنه يريد أن يعطينـا ويجعلنا أصحاء وغير مديونين، ولنـا عائلات قوية ومتحدة، ومملوئـين بالفرح والسـلام والمحبة. إنه يريد أن يباركنـا حتى يرى الآخرون جوده فيأتوا إليه ليتباركوا.

إن خطة الله الأساسية للإسرائيليين هى أن يكونوا مثالاً في أيامهم ويشهدوا أمام العالم بصلاحه وقدرته نيابة عنهم.

لقـد اختارهم حتي يكونوا آلات في يديه لجـذب العالم أجمع إليه. وفي هذه الأيام نحن شـعبه المختار. إن الله لا يريد منا أن نتجول في برية

طوال سنوات عمرنا من غير انقطاع. إنه يريد أن يباركنا ويتولى أمورنا حتي نكون مثالاً للعالم المعوز والمتحير الذي نعيش فيه.

إنه يريد أن نعكس على حياتنا وبيوتنا وأطفالنا مجده، حتى ينجذب إليه أولئك الذين يجهلونه.

عندما يأتى الناس إلينا كأفراد، أو يأتون إلى أبواب كنائسنا، فإن الله لا يريدهم أن يخرجوا سائرين في طريقهم حزانى لأن حياتنا ضحلة وخاوية، وبلا اختلاف بين الحياة البائسة التي يعيشونها والتي يسعون جاهدين أن يهربوا منها.

إنه يريد للمؤمنين أن يكونوا مختلفين بطريقة ملحوظة، ليس بسبب أنهم يدعون مسيحيين، ولكن لأن المسيح وحده هو القادر أن يجعل حياتنا تمتلىء وتفيض بالفرح. متى صارت حياتنا في الكنيسة، وفي البيت، ووسط جيراننا، وفي العمل، في فرح الرب، فإن المتعبين، والمرضى، واليائسين، والمتمردين، والشكاكين سيأتون جميعهم إلينا ويجدون الحلول.

لقد كتب إرميا عن هذه الرغبة العميقة من قبل الله:

«وَأُطَهِّرُهُمْ مِنْ كُلِّ إِثْمِهِمِ الَّذِي أَخْطَأُوا بِهِ إِلَيَّ، وَأَغْفِرُ كُلَّ ذُنُوبِهِمِ الَّتِي أَخْطَأُوا بِهَا إِلَيَّ، وَالَّتِي عَصَوْا بِهَا عَلَيَّ. فَتَكُونُ لِيَ اسْمَ فَرَحٍ لِلتَّسْبِيحِ وَلِلزِّينَةِ لَدَى كُلِّ أُمَمِ الأَرْضِ، الَّذِينَ يَسْمَعُونَ بِكُلِّ الْخَيْرِ الَّذِي أَصْنَعُهُ مَعَهُمْ، فَيَخَافُونَ وَيَرْتَعِدُونَ مِنْ أَجْلِ كُلِّ الْخَيْرِ وَمِنْ أَجْلِ كُلِّ السَّلاَمِ الَّذِي أَصْنَعُهُ لَهَا» (إرميا ٣٣:٨، ٩).

لقد عبَّر يســوع عن رغبــة أبيه بهذه الطريقــة: «أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ. لاَ يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلاَ يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ، بَلْ عَلَى الْمَنَارَةِ فَيُضِيءُ لِجَمِيعِ الَّذِينَ فِي الْبَيْتِ. فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ...» (متى ٥:١٤ ـ ١٦).

إن الله يريــد أن يرمم حياتنا وينقى كل مقدار ضئيل من العصيان في قلوبنــا. إن رغبته أن تكون حياتنا مصدراً للتســبيح والتمجيد من أجل جــوده. عندما يتم هذا فإننــا يمكننا أن ننتقل من البرية إلى أرض الموعد ونتمم أوامر يسوع لكى نكون نوراً للعالم الذي نعيش فيه لمجد الله.

تذكر أنه لم يكن مقصوداً بأن نظل قابعين ساكنين دائماً في البرية، ولكن علينا أن نتعلم كيفية اجتياز البرية لكى نصل إلى تحقيق الوعد الذى أعده لنا.

الفصل الرابع

قانون المبادىء الأربعة

إن المسيحية ليست معقدة. فالعلاقة بين الله والإنسان يمكن فهمها ببساطة لدرجة أن طفلاً صغيراً يمكنه أن يهضمها. ومع ذلك فإن المضمون الروحى (التطبيقات الروحية) لهذه الحقائق تجعل أحكم الرجال يهابونها.

إن المسيحية الفعالة ليست عملية فقط ولكن يمكن الاعتماد عليها كلية. ففى تعامل الله مع الناس، يقدم بياناً صريحاً مبنياً على شروطٍ: «إذا كنت تفعل هذا، فسوف أفعل لك ذلك. ومن ناحية أخرى، إذا رفضت فإن النتيجة ستكون بهذا الشكل».

نسمى هذا في علم اللاهوت «إعلان موضوعى مشروط»، حيث يقدم الله لنا اقتراحاً إذا اتبعناه، فإن النتيجة ستكون مطابقة تماماً لما وعد. لقد رأينا أن الله دائماً يقدم وعداً مشروطاً متبوعاً بموقف يحمل مشكلة وتلعب التجربة دورها في إثارة القرار سواء بإتمام شرط الله أو تجاهله.

إن إتمام الوعد (أو تحقيقه) لا يمكن أن يحدث إلا إذا اتخذنا قراراً، ويكون ذلك فقط عندما نقرر أن نطيع كلمة الله.

لقد اكتشفت أن هذا النمط لا يمكن أن يتغير أبداً في تعامل الله معنا.

مبدأ راسخ في كل الكتاب المقدس في ما اختبرته أنا شخصياً؛ ولم أجد قط استثناء لهذه القاعدة. هناك طريقة سهلة لإمكانية تذكر هذا الشكل وهو التفكير فيه وفقاً لقانون الأربعة المبادىء كما سيأتى الحديث عنها هكذا:

يعطينا الله وعداً مرتبطاً بقاعدة (أو شرط)، متبوعاً بمشكلة (تجربة في البرية) تؤدى إلى تحقيق الوعد.

عندما نفهم أعمال هذا القانون، هذا يجعلنا ندرك بأن الوعود التى لم تتحقق بعد لا يجب أن تكون هى الخبرة العادية للمؤمن. إن غاية الوعود هو تحقيقها.

إن المشكلة تكمن في أن معظمنا يغوص في مستنقع المشكلة لأننا لا ندركها على أنها جزء من خطة الله وأسلوبه.

لقد كنت معتاداً أن أفكر بأننى إذا صليت لكى أتلقى وعداً، ثم تعثرت في مشكلة، فهذا يعنى بأن صلاتى لن تستجاب. أحياناً كنت أتلقى مشكلة عوضاً عن تحقيق وعد، ولكن بحسب القانون الذى نحن بصدده، فإن المشكلة لا تأتى بدلاً من تحقيق الوعد ولكن وسيلة للحصول على تحقيق الوعد.

يصعب على كثير من المؤمنين أن يدركوا كيف يستخدم الله المشكلة كجزء من خطته لكى يصل بنا إلى تحقيق الوعد. إننا نريد

أن نلقى باللوم على الشيطان بسبب المشكلة، ونعتقد بأنه تدخل وأفسد مقاصد الله. إن الشيطان واضح في المشهد وهذا بالطبع لا يحتاج إلى ثمة سؤال. ولكنه لا يمكن أن يكون هناك إلا بسماح من الله. إن المشكلة ضرورية بالنسبة لنا لكى تجهزنا لتحقيق وعد الله من جهتنا. لقد أدرك القديس يعقوب هذا المبدأ إذ كتب لنا: «طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى يَنَالُ....» (يعقوب ١:١٢).

إن الكتاب المقدس يحتوى على أمور لا تُعد ولا تحصى فيها ندرك فاعلية قانون المبادىء الأربعة هذه، وهى هناك لتعليمنا أن نتوقع نفس هذا النهج في حياتنا نحن.

عندما نطالب بوعد، يجب أن نكون متأكدين تماماً من فهمنا لهذا المبدأ وهو كيفية تحويل الوعد إلى تحقيقه في حياتنا. ثم علينا أيضاً أن نتوقع نوعاً معيناً من المواقف فيه نتعرض لتجربة تحرضنا على تجاهل كلمة الله. فإذا قررنا أن نتجاهل كلمته، لن يكون هناك ثمة تحقيق للوعد. أما متى عزمنا على الوفاء بالشرط أو المبدأ، يمكننا أن نثق تماماً بأن يأتى بنا الله إلى تحقيق الوعد.

إن الخطر الكامن هنا، هو الانسياق بلا وعى عندما تنشأ المشكلة، ونادراً ما نرى أن هناك ارتباطاً بينها وبين الوعد؛ ومن ثم لا نتشجع ويصيبنا الإحباط والفشل.

إن توقعنا للمشكلة، يجعلنا مستعدين، وإذا ما أدركنا الموقف الذى نمر به في البرية، يمكننا عادة أن نجتازه بأقل ألم ممكن وفي أقصر وقت.

العهد القديم يتحدث

سوف نستخدم رحلة البرية لشعب الله كموضوع اختبار رئيسى لنا. إن كاتبى العهد الجديد قد استخدموا هذا الاختبار نفسه كنموذج لكل المؤمنين لأن وعود الله التى رتبها لهم، مقدمة لنا أيضاً من خلال شخص يسوع المسيح. لقد نال الإسرائيليون وعدهم في مصر عندما قال الله: «سوف أقودكم إلى أرض رائعة تفيض لبناً وعسلاً» وعندما قبلنا الرب يسوع المسيح كمخلِّص شخصى لنا، أصبحنا مستحقين لمثل هذا الوعد «سوف آتى بكم إلى مكان البركات الوفيرة».

تبين لنا الخريطة التى نحن بصددها بأن الله قد أتى ببنى إسرائيل إلى جبل سيناء وأعطاهم المبادىء وهى الوصايا العشر، ثم الشرط: «إن شئتم وسمعتم تأكلون خير الأرض». ثم أتت البرية أو المشكلة.

لماذا قدم الله هذه الخبرة في البرية؟ لنفس السبب وهو أن خبرة التجربة ضرورية بالنسبة لنا اليوم.

(١) الوعد (الميراث)

(٢) المبدأ (الوصايا)

(٣) المشكلة (البرية)

(٤) تحقيق الوعد (الأرض)

إننا بحاجة أن نتعلم مَنْ نكون ومَنْ هو الله، ولكن بطريقة لا يمكن نسيانها أبداً. وهكذا يمكننا أن نصل إلى تحقيق الوعد بدون أن نكون متغطرسين، ومغرورين، ومن ثم ندمر أنفسنا. استمع إلى ما

يقوله موســى عن الله: «وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُـكَ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَـنَةً فِي الْقَفْرِ لِكَيْ يُذِلَّـكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِـي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟... لِئَلاَّ إِذَا أَكَلْتَ وَشَـبِعْتَ وَبَنَيْتَ بُيُوتًا جَيِّدَةً وَسَـكَنْتَ، وَكَثُرَتْ بَقَرُكَ وَغَنَمُكَ، وَكَثُرَتْ لَـكَ الْفِضَّةُ وَالذَّهَبُ، وَكَثُـرَ كُلُّ مَا لَكَ، يَرْتَفِعُ قَلْبُكَ وَتَنْسَـى الرَّبَّ إِلهَـكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ، الَّذِي سَارَ بِكَ فِي الْقَفْرِ الْعَظِيمِ الْمَخُوفِ، مَكَانِ حَيَّاتٍ مُحْرِقَةٍ وَعَقَـارِبَ وَعَطَشٍ حَيْثُ لَيْسَ مَاءٌ. الَّذِي أَخْرَجَ لَكَ مَـاءً مِنْ صَخْرَةِ الصَّوَّانِ. الَّذِي أَطْعَمَـكَ فِي الْبَرِّيَّةِ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ يَعْرِفْهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ، لِكَيْ يُحْسِـنَ إِلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ. وَلِئَلاَّ تَقُولَ فِـي قَلْبِكَ: قُوَّتِـي وَقُدْرَةُ يَدِيَ اصْطَنَعَتْ لِي هذِهِ الثَّـرْوَةَ. بَلِ اذْكُرِ الرَّبَّ إِلهَـكَ، أَنَّهُ هُوَ الَّذِي يُعْطِيكَ قُوَّةً لاصْطِنَاعِ الثَّـرْوَةِ، لِكَيْ يَفِيَ بِعَهْدِهِ الَّذِي أَقْسَمَ لآبَائِكَ كَمَا فِي هذَا الْيَوْمِ» (تث ٨:٢ ؛ ١٢ ـ ١٨).

إن الغـرض مـن البرية هـو أن يجعنا دائماً نشـعر بعـدم كفايتنا، ونلتجـىء إلى الله الذى فيه كل الكفاية. ومتى أدركنا ذلك، فإن الرغبة والطاعة يتبعان.

الخـلاص

إن هبـة الله للخلاص تخضع أيضاً لقانون المبـادىء الأربعة. إن الله يعد بالخلاص لكل مَنْ يؤمن بابنه يسوع المسيح (يو ٣:١٦).

إن المبدأ هو أن نضع إيماننا فيه: «فَإِذْ قَدْ تَبَرَّرْنَا بِالإِيمَانِ (المبدأ) في وعوده، لَنَا سَلاَمٌ مَعَ اللهِ (تحقيق الوعد) بِرَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (رومية ٥:١).

في مكان ما بين الوعد والمبدأ وتحقيق الوعد، تقع منطقة البرية حيث سنهاجم من جميع الجهات بالشكوك والتجربة لعدم تصديق كلمة الله. وفي هذه المنطقة قد يعترى البعض منا الشكوك.

ينشر الكارزون والمؤسسات الدينية كتيبات تنصح فيها المسيحيين الجدد أن يحفظوا عن ظهر قلب وعود الله للخلاص. إنهم يعرفون أن هذه الآيات الكتابية سوف يحتاجون إليها في مواجهة الشكوك في موضوع الخلاص، والمؤسس على: «لقد قال الله ذلك، وأنا أصدقه، وهذا ما يجعله ثابتاً وراسخاً في قلبى».

هذه نصيحة رائعة فعلاً. إن المشاعر مؤشرات خطيرة ومزيفة لما هو حقيقى فعلاً.

إننا نعرف جميعاً بأننا يمكننا الحصول على الخلاص بدون الشعور بذلك. ولهذا علينا الاستناد على كلمة الله باختيارنا أن نصدقه هو ولا نرتكن إلى مشاعرنا. هذا هو جوهر الإيمان؛ مصدقين ما يقوله الله بغض النظر عن المستوى التى تشير إليه مشاعرنا أو الظروف التى نحن فيها.

إننا نجد اليوم أعداداً غفيرة من المسيحيين يتخبطون في برية الشكوك فيما يخص غفران خطاياهم. إنهم يأتون إلى المذبح المرة تلو الأخرى قائلين «إننى لا أعرف بالضبط، ربما من الأفضل بالنسبة لى أن أطلب من الله أن يخلصنى مرة ثانية». إنهم بذلك لم يفهموا المبدأ كليةً وهم غير مستعدين تماماً لخوض المشكلة. ولا توجد أية طريقة

أخــرى للوصول إلـــى تحقيق الوعد ونوال ســـلام الله الأكيـــد، إلا باجتياز مشكلة الشك.

عليك أن تصل إلى القرار الحاسم بالوثوق في كلمة الله، على الرغم من بعض العوامل المقنعة من المشـــاعر والشـــكوك العقلية. عليك أن تختار مصدقاً بأن المسيح هو فعلاً ابن الله الذى مات من أجل خطاياك وتعدياتك. لا يمكن أن تقتنع أبداً أو تحظى بســـلام الله بأية طريقة أخرى، ولن يأتيك دليل قاطع قبل اتخاذ قرارك.

لن تحظى بالسلام والطمأنينة ما لم تعزم بأن تثق في كلمة الله في وسط الشكوك وهذا هو لإيمان!

يجـــب أن تتوافق مـــع كلمة الله بخصـــوص هذا الموضـــوع وتعتبره حقيقة.

وفـــي هذا الصدد يقـــول الله: «لأَنَّهُ هكَذَا أَحَـــبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَـــذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لاَ يَهْلِكَ كُلُّ مَـــنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣:١٦). الله حقيقة واقعة لا محالة، وقد تم عمله وحتمه بموت المســـيح على الصليب. إن الشـــرط المتروك لنا هو أن نتحول من مجهوداتنا المســـتمرة في خلاص أنفســـنا ونقر بعصياننا (خطيتنا)، ونقبل المسيح رباً ومخلّصاً وسيداً على حياتنا. وهذا يجعلنا جديرين بوعد آخر: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ (أى الذين آمنوا باســـمه) فَأَعْطَاهُمْ سُـــلْطَانًا أَنْ يَصِيـــرُوا أَوْلاَدَ اللهِ» (يوحنـــا ١:١٢). إذا تممنا الشـــرط من

ناحيتنا (نلتصق به ونعتمد عليه ونثق ونؤمن بيسوع المسيح) فإننا سنكون متأكدين تماماً بأن الله حتماً سيحقق وعده.

إننا نعتمد على كلمته. ولكن يمكننا أن نكون متأكدين أيضاً بأن إحساسنا بأمان وسلام الله يمكن أن يأتى فقط بعد فترة من الارتياب والشكوك الخطيرة.

الشفاء

إن الشفاء عطية مجانية أخرى تخضع لقانون المبادىء الأربعة.

سألنى رجلٌ ذات مرة: إذا لم تنل شفاء عندما تطلبه، فكيف تعرف أنك قد خلُصت عندما تطلب الخلاص؟».

لقد حيرنى حقاً هذا السؤال وكنت في صراع لبعض الوقت قبل أن أصل إلى إجابة شافية.

لو أننا تعلمنا مبدأ الشفاء مثلما نتعلم مبدأ الخلاص، لأصبحنا قادرين على مواصلة تقدمنا نحو شفائنا.

إننى لا أعنى ضمناً بأن الشفاء وعد شامل كالخلاص.

إن الكتاب المقدس يخبرنا بأن كل مَنْ يدعو باسم الرب المسيح يخلُص. إن نفس الوعد الشامل لا ينطبق على الشفاء لأن المرض والشيخوخة والموت الجسدى، جزء من عالمنا.. والكتاب المقدس لا يعد بأن عالمنا المريض سيحصل على الشفاء الكامل قبل أن يأتى المسيح ثانية.

ومع ذلك فإن الله يعد فعلاً بالشفاء، فعندما يحصل أحد على وعد معين فإنه بكل تأكيد سيصل إلى تحقيق هذا الوعد.

وفي مثل هذه الحالة، إننى أعتقد أنه إذا تم قبول وعد الشفاء بنفس الطريقة التى نقبل بها الوعد لنا بالخلاص، سوف نكون قادرين للمطالبة بوعد الشفاء على الرغم من الشكوك والمشاعر والأعراض المتكررة.

إننى مقتنع بأن مقاصد الله نحو المؤمنين أن يستمتعوا بصحة أفضل ونسبة أعلى في الشفاء عما هي موجودة في كنائس اليوم.

إننى أفضل شرح (الشوكة في الجسد) لبولس (٢كو ١٢:٧) أكثر من مخاطرة التعليم عن الشفاء.

هناك تعارض واضح فعلاً بين ما جعله الله متاحاً لنا في المسيح وبين ما نختبره واقعياً.

وإلى حدٍ بعيد، يرجع هذا إلى حقيقة أن معظمنا يعتبر مشاعرنا هى المعيار الوحيد الذى يعول عليه بأننا أصحاء جسدياً أم لا إذا كان الشفاء يتبع قانون المبادىء الأربعة المتناغمة معاً، فإننا يجب أن نتوقع احتواء مشكلة بعض أعراض جسدية بقصد اختبار إيماننا بوعد الله.

لقد كانت هناك امرأة تموت موتاً بطيئاً بمرض التصلب المتناثر (تصلبات منتشرة في الجهاز العصبى). لقد كانت تؤمن بأن الله سيشفيها ولقد صلى من أجلها أناس كثيرون. ولكن حالتها أصبحت تسوء أكثر فأكثر. لقد استمرت تتوسل إلى الرب وأخبرت صديقاتها بإعتقادها أن الرب سيستجيب لصلواتها سريعاً. ومع ذلك مر الوقت إلى أن دخلت المستشفى وفقدت بصرها وكذلك مقدرتها على تحريك أطرافها. وانزعج الأطباء وقرروا أنها سوف تعيش يوماً واحداً أو اثنين.

زارتها إحدى صديقاتها بالمستشفى واتكأت على سرير نومها وقالت لها: «توقفى عن انتظارك لله بشفائك سريعاً واقبلى الحقيقة بأنه قد شفاك فعلاً. واشكريه على ذلك وامنعى نفسك من التفكير حول مقدار شعورك بالمرض».

لقد لمع ذلك أمام عقل المرأة المحتضرة كما لو كان قبساً من نور. وسرعان ما أدركت لماذا كانت تشعر بأن حالتها أسوأ طوال الوقت.

لقد كان عقلها منشغلاً بمشاعرها بدلاً من الانشغال بعمل المسيح الكامل. وعندما بدأت تشكر الله، في خلال ساعات استجاب جسدها. وفي غضون أيام قليلة تركت المستشفى ورجعت إلي بيتها سيراً على أقدامها. وعندما كانت تخبر بقصتها، تؤكد وبشدة بأنها لو استمرت باقية في سريرها منتظرة شفاء الله لها بدلاً من أن تقبل بأنه قد شفاها فعلاً، لكانت قد وافتها المنية على الرغم من أن وعد الله بالشفاء كان مذخراً لها.

لقد مات الإسرائيليون في البرية على الرغم من تدبير الله لهم بأرض الموعد وذلك لأنهم لم يقبلوا المشكلة كجزء من خطة الله.

إن هناك كثيرين كان من الممكن حصولهم على الشفاء ولم يشفوا لأنهم لم يفهموا كيفية اجتياز المشكلة التى تصل بهم إلى تحقيق وعد الله لهم بالشفاء.

في هذه البرية على وجه الخصوص، ستواجه اختياراً، إما أن تصدق كلمة الله بأنه قد شفاك فعلاً، أو أن تصدق أحاسيسك ومشاعرك

بأنك مازلت مريضاً. إن كل الشفاءات العديدة التى يسجلها لنا الكتاب المقدس مختلفة ولكن يغلب عليها عنصر مشترك، ألا وهو الإيمان.

إن الإيمان ـ الذى نعرفه ـ هو الثقة بما يُرجى والاتكال والاعتماد على كلمة الله أكثر مما قد تظهره لنا مشاعرنا وظروفنا. إن الإيمان وحده هو الذى يستطيع أن ينتقل بنا عبر المشكلة إلى إتمام وعد الله الذى ينتظرنا.

ثمر الروح

يخبرنا الكتاب المقدس بأن خصائص الحياة المسيحية العادية يجب أن تفيض بالمحبة والفرح والسلام وطول الأناة واللطف والصلاح والأمانة والوداعة وضبط النفس. علينا أن نفحص قلوبنا بدقة لكى ندرك بأن هذا الوصف نادراً ما يتلاءم مع خبرتنا اليومية.

إن سبب ذلك هو أن هذه الخصال المسيحية المتوقعة مقدمة لنا في شكل وعد، ومن الممكن ترجمتها إلى واقع مُعاش وذلك فقط بتفعيل قانون المبادىء الأربعة.

تقدم لنا (غلاطية ٥:٢٢، ٢٣) المبدأ والوعد بمعنى أنه عندما يسيطر الروح القدس على حياتنا سَيُثْمِرُ هذه الثمار في حياتنا: «محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، أمانة، وداعة، ضبط النفس...».

ألا تلاحظ أن الشرط المطلوب هو سيطرة الروح القدس علي حياتنا؟ إنه هو الذى يثمر في حياتنا هذه الثمار، وباطلبع لن يكون ذلك نتيجة

لقوة الإرادة ولكن تنمو وتزدهر هذه الثمار بشرط واحد فقط وهو أن نرتبط حقاً بالمسيح من خلال الروح القدس.

ويمكننا أن نتوقع مشكلة بين الوعد والمبدأ وإتمام الوعد. وهي موقف البرية في مثل هذه الحالة. فإما أن يكون هناك فرصة لثمر الروح لكى ينمو أو أن نتحطم نتيجة لتشبثنا برأينا.

يصف لنا الرب يسوع كيفية تشجيع الثمار لكى تنمو: «أَنَا الْكَرْمَةُ الْحَقِيقِيَّةُ وَأَبِي الْكَرَّامُ. كُلُّ غُصْنٍ فِيَّ لاَ يَأْتِي بِثَمَرٍ يَنْزِعُهُ، وَكُلُّ مَا يَأْتِي بِثَمَرٍ يُنَقِّيهِ لِيَأْتِيَ بِثَمَرٍ أَكْثَرَ. أَنْتُمُ الآنَ أَنْقِيَاءُ لِسَبَبِ الْكَلاَمِ الَّذِي كَلَّمْتُكُمْ بِهِ. اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ» (يو ١٥:١ ـ ٤).

إن التشذيب أو التعليم من أجل قوة أفضل وإنتاج أوفر، وهو وصف ملائم لخبرة البرية.

إن خبرتنا الحقيقية في الحياة ننالها عن طريق الظروف الشديدة التى تضغط علينا لدرجة أننا لا نستطيع أن نظهر روح الحب وطول الأناة بقوتنا الذاتية، وبالتالى يجب أن نقر بعدم محبتنا وعدم صبرنا. وهنا تأتى التجربة تحثنا على اتخاذ قرار: إما أن نقر بعجزنا، ونعترف بنقص محبتنا ونلقى بأنفسنا على الله طالبين منه أن يزرع فينا الحب. أو أن نرفض أن يمد الله لنا يده أثناء المشكلة، ومن ثم ننفجر ونلقى باللوم كله على الظروف الرهيبة التى نرزح تحتها.

عندما نصلى إلى الله أن يجعلنا مُحبين أكثر، يمكننا أن نتوقع منه أن يضعنا حيال موقف عبارة عن «مشكلة» إذ علينا أن نجابه أناساً من الصعب أن نحبهم، أشخاصاً لديهم صفات صعبة للغاية لدرجة أنه يستحيل علينا أن نحبهم من أنفسنا. هنا إتمام الوعد.. قدرة جديدة على حب الناس.. تأتى فقط عندما نكابد المشكلة ونسمح للمسيح بأن يتولى زمام الأمر ويسيطر على نزعاتنا الطبيعية.

إن ثمر الروح لا ينمو تلقائياً ولكنه يحدث باختيارنا الالتصاق بمبادىء الله من خلال مشكلة.

الزواج

إن الله قدم وعوداً رائعة بخصوص الزواج المسيحى. عندما سُئل يسوع عن الزواج، أجابهم قائلاً: «أَمَا قَرَأْتُمْ أَنَّ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْبَدْءِ خَلَقَهُمَا ذَكَرًا وَأُنْثَى؟ وَقَالَ: مِنْ أَجْلِ هذَا يَتْرُكُ الرَّجُلُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَيَلْتَصِقُ بِامْرَأَتِهِ، وَيَكُونُ الاثْنَانِ جَسَدًا وَاحِدًا. إِذًا لَيْسَا بَعْدُ اثْنَيْنِ بَلْ جَسَدٌ وَاحِدٌ. فَالَّذِي جَمَعَهُ اللهُ لاَ يُفَرِّقُهُ إِنْسَانٌ» (متى ١٩:٤ ـ ٦).

إن ما قصده الله من الوعد هو أن يجعل اثنين مختلفين لهما شخصيتان مختلفتان في اتحاد متناغم.

إن الله يعد بتحقيق ذلك لأنه يعرف أن أى شخصين لا يمكن لهما أن يرتبطا معاً في اتحاد تام بقوتهما الذاتية.

يستهل معظم المقترنين حديثاً زواجهم بالحب، ولكن مقاصد الله هو أن يعيد بناء حبهم الإنسانى لكى يكون موثوقاً فيه وثابتاً ومثيراً

ومفرحاً أكثر من كل الأشياء التى يمكنهم أن يختبروها بقوتهم الذاتية. إنه ضرورى وبكل تأكيد أن تأتى برية المشاكل بين هذا الوعد السامى وبين تحقيق الوعد بحسب مقاصد الله.

إن صعوبات البرية مصممة لكى تبين لنا أن مواردنا عاجزة عن تحقيق زواج مشبع لا ينفصم. إن الله يريد أن يجعل زواجنا يتشكل بطريقة تجعلنا لا نطالب أبداً بأفضل منه. علينا أن ندرك بأن الله نفسه هو الذى صنع هذا الزواج وهو الوحيد الذى يستطيع أن يحافظ عليه. إن الله يريد منا أن ندرك بأن زواجنا لا يمكن ببساطة أن ينجح لأننا نشعر بأن كلاً منا يتناغم مع الآخر بأفضل ما يكون من حالات التناغم والانسجام كأن نكون طيبين ومتفاهمين جداً، وأن كلاً منا يحب الآخر حباً جماً.

إنه يريدنا أن نعرف بأن زواجنا من الممكن أن يكون سعيداً مجيداً والسبب الأوحد في ذلك هو أن الله ذاته الذى يجعله ممكناً. بمقدرتنا الذاتية لن يتحقق سوى فوضى عارمة. فشخصياتنا تتضارب وكذلك تتغاير اهتماماتنا ومن ثم تتجه بنا سفينة حياتنا نحو بحار تتقاذفها أمواج عاتية عاصفة.

لا يوجد زواج ـ مع احترامنا وتقديرنا لأى مدى يحب الزوجان بعضهما البعض في البداية ـ يمكنه أن يصل إلى كمال النضج والغنى والعلاقة الوطيدة المستمرة بحق بدون مكابدة بعض المشاكل الصعبة.

ومن سوء الحظ أن زيجات قليلة جداً هى التى تدرك بأن مشاكلهم

تعتبر جزءاً من خطة الله التى تجعل علاقتهم أكثر تميزاً وشبعاً. ولكن تقبع الغالبية العظمى في البرية في معاناة داخل حياتهم العائلية وأفضل ما يمكن أن يصلوا إليه هو مجرد صورة باهتة من وعد الله بالفرح. وهناك أعداد متزايدة من الأزواج المسيحيين يتبعون عادات أصدقائهم وجيرانهم غير المسيحيين ويقومون بالتطليق عندما تتأزم وتضطرب أمور الحياة بشدة.

عندما سأل الفريسيون يسوع: فلماذا أوصى موسى بأن تعطى الزوجة وثيقة طلاق فتُطَلَّق؟

أجاب يسوع «إِنَّ مُوسَى مِنْ أَجْلِ قَسَاوَةِ قُلُوبِكُمْ أَذِنَ لَكُمْ أَنْ تُطَلِّقُوا نِسَاءَكُمْ. وَلكِنْ مِنَ الْبَدْءِ لَمْ يَكُنْ هكَذَا» (مت ١٩:٨). وبذلك يمكننا أن نعى تماماً بأنه لم تكن مقاصد الله منذ البدء بأن يكون نهاية أي زواج. عندما نتفهم وعده، ونتعلم شروطه ومبادءه، ونتعلم أن نتمسك بها من خلال المشاكل المحتومة، آنذاك يمكننا الوصول إلى تحقيق الوعد. إذا كان الله هو الذي دبر أن يكون الزوج والزوجة جسداً واحداً متحداً اتحاداً متناغماً بهيجاً، فإن الطلاق سيظل فكراً غريباً لا يمكن أن نقبله بأى حال من الأحوال.

إذا كنت قد قضيت زمناً فعلاً في موقف البرية في زواجك، اطلب من الله أن يعلمك المبادىء وعليك أن تتمسك بها خلال الظروف الصعبة. وإن فعلت ذلك فإنك حتماً سوف تدخل إلى أرض موعدك.

إن الوعود التى لم تتم بعد ليست هى الحياة المسيحية العادية

ولا يمكن أن نعتبرها أيضاً زيجات غير سعيدة. ولكن الله يريد أن يحولها إلى تحقيق وافر.

إذا كنا قد أدركنا ضرورة وجود المشكلة في حياتنا، فإننا نكون على استعداد تام لكى نقترب أكثر إلى هذه المنطقة الحيوية ونكتشف بعض الامكانيات التى تجعلنا نصل إلى مقاصد الله الغنية في تحقيق الوعد كما يريده الله لنا.

الفصل الخامس

بدائـــل المشكلـــة

إن المشـكلة هى همزة الوصل في رحلتنا من الوعد إلى إتمام الوعد. وسـلوكنا أثناء المشـكلة يحدد إلى أى مدى - ومتى - سوف نصل إلى تحقيق الوعد لنا من عدمه إطلاقاً.

إذا ما دققنا النظر في الموضوع الذي نحن بصدده (شعب إسرائيل) ومشكلاتهم، مع المقارنة بخبراتنا الشخصية، يمكننا أن نلاحظ ثلاثة بدائل أساسية تواجهنا أثناء المشكلة أو البرية.

(١) مرحلة أخرى (من مراحل رحلتنا في البرية)

إن استجابتنا التلقائية السلبية تجاه المشكلة يؤدى إلى امتداد الإقامة في البرية. إن الله يقدم مجموعة مشابهة من الظروف التى تهيىء لنا الفرصة نحو خطوة أخرى خلال نفس المشكلة.

(٢) عظام مبيضة

إن الاستجابات السلبية المتكررة تؤدى بنا إلى الهلاك في البرية.

إن موقفنا القاسى المستمر سوف يمنعنا في نهاية الأمر، من الوصول إلى تحقيق الوعد.

(٣) اصمد وادخل

إذا كانت استجابتنا إيجابية وكان اختيارنا هو الاعتماد بصفة

أساسية على مبادىء الله أثناء اجتياز المشكلة، فإننا سنكون قادرين على دخول أرض الموعد دون تأخير.

عندما نقوم بفحص هذه البدائل واحدة فواحدة، علينا أن نتذكر قانون المبادىء الأربعة، وإمكانية الوقوع فريسة لعقدة البرية وصلاح إلهنا وطول أناته، وإمهاله.

مرحلة أخرى

عندما دخل الإسرائيليون بتجربتهم في البرية، صادفوا البحر الأحمر ورأوا أن الله قد تولى أمر أعدائهم الذين كانوا يتعقبونهم. لقد تلقوا وعدهم في مصر وتعلموا المبدأ الأساسي إذا كانوا يثقون فقط في الله ويطيعونه، فإنه سوف يقودهم بأمان أثناء انطلاقهم في البرية. إننا نعرف أنهم آمنوا بالوعد وبالمبدأ لأننا نقرأ في سفر الخروج بأن الأمة بأسرها رنمت ترنيمة الانتصار وسبحوا الله (خر ١٥).

إننى أفعل بالمثل مثلما فعل الإسرائيليون تماماً، إذ أننى في كثير من المرات أشكر الله على شىء ما قد فعله في حياتى، ثم أترقب في شوقٍ بالغ متلهفاً وواثقاً بأنه سيعاود تقديم نفس الشىء لي مرة ثانية.

إننى أترقب وأتوقع كيف سوف يحل الله مشكلة ما، أو طبيعة تلك المشكلة والتى تجعلنى أسقط على وجهى، بينما يستمر الله قدماً في طريقه هو.

بعدما رنموا ورقصوا، جعل الرب هؤلاء العبيد سابقاً يرحلون فوراً متجهين نحو برية شور، وظلوا لمدة ثلاثة أيام بلا ماء. ثم وصلوا إلى مارة ولم يقدروا أن يشربوا من النبع لمرارته (لذلكً سُميت مارة).

أراد الله كشف حالة قلوبهم وذلك بأن جعلهم يجتازون في مشكلة مختلفــة من حيث النوع عن تلك التــى رأوا فيها الرب يقوم بحلها من قبل؛ فهل استمرت ثقتهم فيــه أم لا؟ لقد كان الرب يأمــل أن تكون الإجابة كما يجب، ولكنهم لم يفعلوا ذلك، ولم يقولوا: «لقد شق الرب البحــر الأحمــر أمامنا، وبكل تأكيد هو قادر على تحويل الماء المر إلى ماء حلو. علينا فقط أن نسبحه ونراقب عمل يديه في معجزة أخرى».

ولكــن حدث العكــس تماماً والتفت الشــعب إلى موســى وتذمروا عليــه قائلين: «هــل أتيت بنا إلى هنا كى نموت من العطش!». وبســبب استجابتهم السلبية، طال انتظارهم في البرية.

لقــد أدخلهم في مجموعة أخرى من الظــروف، مقدماً لهم فرصة أخرى لكــى يختاروا أن يثقوا فيه. ولذلك كان لابد من مرحلة أخرى. إننا غالباً ما نتوقع بأن الله سيعمل بطريقة واحدة، غير عالمين بأنه بدأ فعلاً في التدخل في مشكلتنا في مكان قلما نتوقع وجوده فيه!

إذا كان رئيســك فــي العمل صعب المعشــر، فإنك قــد تصلى لكى يتعامــل الله مــع هذا العدو، وتتوقع إما أنه يبعــده عنك، أو يحوله إلى شخص لطيف.

وبدلاً من ذلك تجد أن رئيسك يصبح أكثر قسوة عن ذى قبل.

ألا يســتجيب الله لصلاتــك؟ بالطبع يســتجيب! ولكــن بطريقة مختلفــة عما توقعت، ذلك لأن الله يتعامل مع العدو الحقيقي، ألا وهو كبرياؤك وذاتك العنيدة. إنه بكل تأكيد يســمح لرئيسك أن يكون أكثر

تعسفاً معك حتى ترجع إلى الله وتطلب منه أن يحررك من غرورك وروحك العنيدة ويجعلك خاضعاً لله بكل جوارحك.

عندما تفعل ذلك، قد تجد بأن رئيسك أصبح مدهشاً بالنسبة لك، إذ بين عشية وضحاها صار عطوفاً ومتفاهماً! إن معرفتنا للجذور الأصلية الكامنة وراء مشكلتنا سوف يساعدنا لكى نتقبلها ببساطة أكثر.

إننا غالباً نرتكب خطأ إلقاء اللوم على الصعوبات في ظروفنا، بينما يجب أن ندرك بأن موقفنا إزاء تلك الظروف، هو لب المشكلة.

إن الله قادر على تغيير ظروفنا في الحال لو كانت تلك هي مشيئته. ولكن إذا لم يشأ فذلك لأنه يريد أن يغير شيئاً بدواخلنا، وهكذا تظل الظروف موجودة لكى تكون سبباً في تغيير ما ينبغى تغييره.

إن القصة المستمرة لرحلة شعب إسرائيل في البرية لا تجد سرداً لها في سفر الخروج فقط ولكن أيضاً في أسفار اللاويين والعدد والتثنية. ويمكننا أن نتعرف على اختباراتهم في إيليم حيث نصبوا خيامهم بين النخيل وكانت هناك أيضاً اثنتا عشرة عين ماء. بيّن لهم الرب مرة ثانية بأنه قادر على شد أزرهم. ثم انتقلوا إلى برية سين حيث لم يجدوا ما يسدوا به رمقهم. يمكننا أن نلاحظ بأنهم قد رجعوا يواجهون نفس المشكلة ولكن في شكل مختلف اختلافاً بسيطاً، فبدلاً من الماء المر، أصبحوا الآن يتضورون جوعاً.

إذا كانت أول استجابة لنا سلبية تجاه مشكلةٍ ما فإن الله سوف يسدد احتياجنا الفورى، ثم ينتقل بنا إلى مكان آخر واضعاً إيانا في

مجموعة مشابهة من الظروف لكى يجابهنا بنفس الاختيار مرة ثانية وذلك إما للثقة فيه والاستناد على مبادئه أو أن نتجاهلها ونشكو. قد لا ندرك هذا النمط لفترة ما، ولكن ستكون هناك صعوبات مستمرة من نوعٍ مشابه ولكنها تزداد رويداً رويداً في قسوتها وحدتها.

هنا نرى شكوى شعب الله تزداد أكثر عند تعرضهم لنقص الطعام عما كانت عليه بخصوص المياه. لقد ضاع تسبيحهم هباءً ولم يعد لترنيمهم ورقصهم أى معنى. لقد فقدوا ضمانهم الذى نالوه عندما حوَّل الله الماء المر إلى ماء حلو. ومع كل هذا كان الله متمهلاً على شعبه المختار. في ذلك المساء أمطرت السماء طيور السلوى وفي الصباح غطى المن الصحراء. لقد سمع الرب لشكواهم مرةً ثانية مظهراً حبه وقدرته على العطاء.

قادتهم المرحلة التالية حول الجبل إلى رفيديم حيث لم يجدوا ماءً على الإطلاق. لقد رجعوا يواجهون موقفاً مشابهاً جداً لذلك الموقف السابق الذى رأوا فيه يد الرب تمتد بالحل كيف سوف يتصرفون؟

هل سيتذكرون معجزاته ويثقون بل يتلهفون ويترقبون نوال معجزة أخرى؟ للأسف لم يحدث ذلك بل ازدادت شكواهم أكثر فأكثر لدرجة أنهم كادوا يرجمون موسى بالحجارة. ولكن قادهم الرب إلى جبل حوريب وأمر موسى أن يضرب الصخرة بعصاه فانفجر منها الماء ليشرب الشعب. ودعا موسى اسم الموضع مسة ومريبة ومعناه (امتحان الرب لذبحهم) نتيجة لتخاصم بنى إسرائيل وامتحانهم للرب أن يذبحهم هناك قائلين: «هل الرب في وسطنا أم لا؟».

إن البرية بين مصر وكنعان من الممكن اجتيازها سيراً على الأقدام في أقل من أسبوعين، ولكن استغرقها الإسرائيليون في أربعين عاماً! في كل مرحلة من مراحل الرحلة كان هناك تحدٍ لهم بمشكلة، ولكنهم فضلوا الشكوى (والتذمر) بدلاً من الثقة في الرب. وفي كل مرحلة زادت مرارتهم واستفحل عصيانهم وتمردهم. لم ينتظروا عندما صعد موسى على جبل سيناء، وصنعوا لأنفسهم عجلاً مسبوكاً من الذهب في عصيان مباشر لما قد أمرهم الله به تواً! لقد اشتكوا وتذمروا طوال سيرهم في الصحراء، وعندما وصلوا في النهاية إلى تخم أرض الموعد ورأوا أنها غنية بالمدن الحصينة وكثرة الأعداء، وبعض منهم أيضاً عماليق ارتعبوا ورفضوا دخولها.

عظام مبيضة

صعد اثنا عشر جاسوساً إلى تخم أرض الموعد ليتجسسوها، وقال عشرة منهم بأنه لا يمكن امتلاك هذه الأرض.

أما الاثنان الآخران يشوع وكالب تذكرا كلمات الله وصدّقاها. ومن ثم أرادا أن يدخلا إلى أرض الموعد، ولكن رفض الشعب اتباعهما. لقد جرب الإسرائيليون الرب عشر مرات ولم يسمعوا لقوله واستسلموا في النهاية ولم يصعدوا إلى أرض الموعد وتقست قلوبهم وتمردوا على الرب إلى أن وصل صبر الرب وطول أناته إلى منتهاه معهم.

إن المسيحية أكثر من مجرد غفران يمكن تكراره في كل مرة نخطىء فيها؛ ولكنها مرتبطة أيضاً ارتباطاً وثيقاً بالخضوع والطاعة.

إذا تقست قلوبنا في البرية، فإن البديل الثانى سيكون نهايتها، وهذا يعنى أن عظامنا ستبيض وسنهلك وسط المشكلة. ولن نصل إلى إتمام الوعد وليس معنى هذا أننا سنفقد الخلاص. لقد سامح الله بنى إسرائيل على تمردهم ولكنه لم يشأ أن يجعلهم يدخلون أرض الموعد.

لقد توسل موسى إلى الرب أن يصفح عن ذنوبهم واستجاب الرب له (عدد ١٤: ٢٠ ـ ٢٣). لقد قال الله بأنه سيسامح الشعب. إنهم لم يفقدوا خلاصهم، ولكنهم لم يروا إتمام الوعد، وجثثهم سقطت في ذلك القفر. لقد هلكوا روحياً على الرغم من اقتنائهم فعلاً للوعد. إن العظام المبيضة في الصحراء، مشهد يندى له الجبين، ولكنه يصبح البديل لنا إذا واصلنا استجاباتنا السلبية إزاء المشاكل التي تجابهنا في مراحل رحلتنا الكثيرة حول البرية. وهناك عظام مبيضة منثورة لأناس كثيرين في برية العصر الحديث. إن المقاومة المستمرة قد تأتى بنا إلى نقطة اللاعودة في معاملات الله معنا؛ وهذا كما حدث مع البعض عندما كلمهم موسى وقال لهم أن لا يصعدوا لامتلاك الأرض لأن الله لم يعد معهم (عد ١٤: ٤٠ ـ ٤٣).

إن هذا فكر مخيف: أن الله سيصفح عن ذنوبنا التى ارتكبناها ضده، ولكن إذا لم نسمح له بأن يجهزنا، وما لم نقبل مبادءه كليةً وكذلك المشاكل التى يجيزنا فيها فلن يستطيع أن يأتى بنا إلى أرض الموعد.

يا لها من مأساة مفجعة لأولئك المؤمنين الذين يعرفون وعوده ولكنهم يقضون حياتهم تائهين في البرية، وغير قادرين مطلقاً أن يروا هذه الوعود قد تحققت. وفي النهاية... عظام مبيضة!

اصمد وادخل !

إن الاختيار أو البديل الثالث: «اصمد وادخل». كان مغلقاً أمام جميع الإسرائيليين باستثناء اثنين منهم من الجيل الأول وهما كالب ويشوع اللذان رأيا بعيونهما في أرض الموعد عندما كانا جاسوسين - مدناً حصينة وعماليق مسلحة. ولكنهما تذكرار وعد الله وكانا واثقين أنه سيسلم الأرض إلى أيديهما. وبعد أربعين عاماً قاد يشوع وكالب الجيل الجديد عبر نهر الأردن إلى أرض الموعد! إذا فشلنا في المرحلة الأولى، فهناك فرصة أخرى لمواجهة نفس المبدأ. إننا سنحصل على فرصة أخرى للاختيار، إما أن نستند على كلمة الله أو أن نرفض الطاعة له.

إننا غالباً ما لا ندرك الموقف وأنه بمثابة مواجهة الله لنا بمشكلة، إلا بعدما نفشل مرة أو اثنتين.

دعني أسوق إليكم اختباراً يوضح ذلك: لقد سمعتني امرأة أتحدث عن قانون المبادىء الأربعة والبدائل الثلاثة في مواجهة المشكلة. لقد أدركت بأنها خلال فترة طويلة من الزمن كانت تدور في دائرة مفرغة حول المشكلة إلى أن تبلورت في شكل استياء تجاه والدتها. وحالما رجعت إلى بيتها، صلّت طالبة من الله أن يعطيها القدرة على الصفح عن والدتها وأن تحبها. ولقد توقعت تماماً بأن هناك أمراً ما سيحدث ويغيّر مشاعرها.

وبالفعل حدث أمر ما، إذ تحول الموقف إلى الأسوأ. اكتشفت بأن

والدتهـا قد قامت بإخفاء بعض الرسـائل التى تخصها مما سـبب لها جرحاً غائراً في نفسها، ومن ثم انفجرت في نوبة غضب عارمة متهمة والدتها بأن لها أثراً سلبياً على مقدرات الأمور في حياتها. وعندما حل المساء في ذلك اليوم، أدركت بأن الله جعلها تجتاز في هذا الموقف العصيب لكى ما يقدم لها فرصة أخرى لمسامحة والدتها. لقد أدركت انذاك بأن عليها أن تتوقع دورة أخرى في نفس المرحلة إذا ما أخفقت في المشكلة، ولذا قررت أن تكون متيقظة لتحدٍ آخر مع والدتها.

انقضى أسبوع كامل دون أن ترى والدتها، ولكن في إحدى الأمسيات جاء زوجها بخبر أن ابنتها قد أخفقت هذا العام وقد سمح لها أن تتحول إلى مقرر تعليمى آخر.

وأثناء ما كان زوجها يواصل حديثه، بدا الإستياء المألوف القديم ينشط فجأة ويسيطر على كل ملكات تفكيرها: «إنهم دائماً ما يفعلون أموراً من وراء ظهرى... كلهم يفعلون ذلك... زوجتى وابنتى ووالدتى...».

فجأة انقشع أمام عينيها شكل أفكارها الداخلية! وما كان هذا إلا مرحلة أخرى كانت تتوقعها.

لقد أدركت لأول وهلة بأن المشكلة لم تكن امتعاضاً تجاه والدتها بل كانت مجرد علامة مرض. إن المشكلة كانت تكمن في كبريائها الذى غالباً ما كان يظهر نفسه بنزعة قوية مسئولة عن كل موقف ومؤثرة على الآخرين بطريقة سلبية وفقاً لما تمليه عليها إرادتها.

صلّت في صمت قائلة: «سامحنى يا إلهى، وشكراً لك لأنك

جعلتنى أرى نفسى على حقيقتها، انزع منى روح الكبرياء التى بداخلى، إننى أهب ذاتى لك لكى تجعلنى الأم والزوجة والابنة، حسبما تريد منى أن أكون».

لقد تطلع إليها زوجها مبدياً اهتماماً شديداً وواصل حديثه قائلاً: «لم نكن نريد أنا وسوزى أن نجعلك تشعرين بالقلق، إننا مدركون كم كنت ترغبين في أن تصبح سوزى محامية. إن أملها في أن تصبح سوزى طبيبة بيطرية يجعلها أكثر سعادة حقاً. إنك تعلمين بأنها كانت دائماً تحب الاهتمام بالحيوانات المريضة».

لقد تلاشت نقطة الخلاف الشائك وأصبحت الأم قادرة على أن تبتسم وتقول بأمانة إنها سعيدة لأن سوزى أصبحت تقوم بما كانت ترغب فيه دائماً من قبل.

وبعد انقضاء بضعة أيام ذهبت هذه المرأة لزيارة والدتها، وما اكتشفته حقاً هو أن ما كانت تستاء منه قد تلاشى تماماً ولم يعد له أثر بالمرة.

لقد أدركت بأن والدتها قد أخفت عنها تلك الخطابات حتى تجنبها ما قد يؤذيها. واستطاعت أن تطلب الصفح عما بدر منها من عبارات الغضب في المرة السابقة. وبالتالى شعرت لأول مرة منذ سنوات عديدة بحب حقيقى تجاه والدتها.

بعد سنوات عديدة في البرية ـ مع الجولات المتكررة حول نفس المشكلة ـ أصبحت قادرة أخيراً أن تتعرف على طريقة الله في إتاحة

الفرصــة لهــا فـي أن تثق فـي مبادئــه أو مواصلة مشــوارها الذى يغلب عليه العند والذي يؤدى في النهاية إلى الهلاك في البرية.

بالالتجاء إلى مبدأ الله - بمعنى التخلى عن كبريائها وطلب الصفح والعــون - أصبحت قادرة على أن تصل إلــى أرض موعدها: أصبح هناك علاقــة حقيقية ملؤها الدفء ليس فقط مــع والدتها ولكن مع زوجها وابنتها أيضاً.

لقد عانوا لفترة طويلة من جراء تعنتها وســيطرتها المستمرين. إن أنــاة الله وإمهاله يعطيان لنا الفرصة في الدخــول في جولة أخرى. إن هذا يســتمر حتى ننجح في المشــكلة أو تتقسى قلوبنا جداً لدرجة أن أي جولة أخرى لن تفيد شيئاً على الإطلاق.

رويداً رويداً تشكل هذه الجولات خطورة أكثر، أو بطريقة أوضح تجعل ردود أفعالنــا لا يجانبهــا الصــواب. إن الله لا يرغب فـــي أن يقحمنا في مشكلة شــديدة الوطأة. إنه يتوق إلى أن يرينا أن الموقف الصعب دائماً ما يكون بوابة الوصول إلى أرض الموعد بشــرط أن نكون مســتعدين ألا نساوم في شروطه التى قد وضعها لكى تؤهلنا لذلك.

ذات مرة ســمحت لــى الظروف بأن أذهب إلى بيــت أحد الخزافين في بيــرو وراقبته بكل حرص أثناء ما كان يشــكل ويصــوغ أوانٍ فخارية. ثم وضعهــا داخل فرن متقد للتحميص. بعــد فترة معينة من الوقت فتح باب الفرن، فشــعرت بلفحة هواء ســاخنة نحو وجهى. أخرج الفخارى إحــدى الأوانى من الفرن ونقر بأصبعــه على حافته، فصدر صوت معيّن،

لكن الفخارى قام بارجاع الإناء إلى الفرن فسألته آنذاك: «كيف تعرف توقيت الإنتهاء من ذلك؟».

فأجاب والابتسامة على وجهه: «عندما يغنى! عندما أنقر بأصبعى وتصدر نغمة رنانة جميلة أعرف آنذاك أنه أصبح جاهزاً» إن الله يسمح لنا بأن نتوغل في ذروة المشكلة، جولة تلو الأخرى، حتى نتعلم أن نغنى وبالتالى نكون جاهزين للدخول إلى أرض موعدنا. لقد أصبحنا أوانٍ مُعَدَة لكى تمتلىء بوفرة المحبة والفرح والسلام كما وعدنا الله بها.

الفصل السادس

السؤال الدينى

إن الكيفية التى نخرج بها من المشكلة - أو البرية - سالمين تعتمد على استجابتنا للتجربة. لقد سبق أن ذكرنا بأن التجربة تعنى البرهان سواء للخير أو للشر. إن ما يخضع للبرهان هو استعدادنا للخضوع أو الطاعة كلية لكلمة الله.

إن التجربة لا تصبح حقيقية إلا إذا قدم الله لنا كلمته وجعل مبدأه راسخاً في فهمنا.

فعلى سبيل المثال، أقول لابنى: «لا تستخدم دراجة أختك! لو فعلت ذلك، سأكون مضطراً لعقابك».

يجب التأكد من فهم ابنى عندما يجيب: «نعم يا بابا، لقد أصغيت إلى ما تقول. لن أستخدم دراجة أختى».

ثم يأتى اليوم عندما يكون في البيت بمفرده. ويرى أن باب الجراج الذى بداخله دراجة أخته الجديدة - مفتوح فماذا سيحدث بعد ذلك؟

سيكون هذا السؤال موضع تحدٍ بالنسبة لابنى: «أحقاً قال بابا ألا آخذ دراجة أختى؟

ولو أن بابا قال ذلك فعلاً، هل حقاً كان يعنى بأنه سيعاقبنى إذا لم أطع؟».

عندما نكون في وسط التجربة، فإن مبدأ الله سيكون دائماً موضع تساؤل. هذا هو لب الموضوع في التجربة!

سوف نشير إلى هذه النقطة الحاسمة في رحلتنا خلال البرية على أنه سؤال دينى.

إن هذا السؤال قد يأتى في صور متعددة، ولكنه يشكل دائماً الشك في كلمة الله أو في مقاصده: «هل قال الله؟...» وهذا إهانة مستمرة لله.

لقد كانت التجربة التى تعرضت لها حواء مصاغة في شكل سؤال دينى. قالت لها الحية: «أَحَقًّا قَالَ اللهُ لاَ تَأْكُلاَ مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ» (تكوين ٣:١).

إن أول سؤال كان مصمماً لاختبار مدى قدرة حواء على تذكر ما قاله الله. وكانت إجابة حواء: «يمكننا أن نأكل من ثمر الجنة كلها، ما عدا ثمر الشجرة التى في وسطها. فقد قال الله: «لاَ تَأْكُلاَ مِنْهُ وَلاَ تَمَسَّاهُ لِئَلاَّ تَمُوتَا» (تكوين ٣:٢، ٣).

إذا كنا نعلم جيداً كلمات الله، فإن السؤال الدينى سوف يلقى بظلال الشك على مصداقية كلماته أو مقاصده من جهتنا كما قال.

لنلاحظ معاً مدخل الحية بعد ذلك إذ قالت «لَنْ تَمُوتَا!. بَلِ اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ عَارِفَيْنِ الْخَيْرَ وَالشَّرَّ» (تكوين ٣:٤).

إن الحية هنا تحاول التشكيك في شخص الله ذاته بالتلميح إلى

ذلك: «إن الله كبير وبخيل. إنه لا يريد أن تنفتح أعينكما فتصيران مثله أو أن تتمتعا أفضل بالحياة!».

لاحظ التشابه في مدخل إبليس للفتى في افتتاحية مثالنا: «إن والدك هذا عجوز بخيل، إنه لا يريدك أن تتمتع بأي متعة. عليك أن تقوم وتأخذ دراجة أختك. إن الفرصة لن تتكرر أمامك كثيراً ولن يعرف أى شىء عن ذلك، وإذا عرف ما قمت به، فلن يعاقبك بالفعل مثلما قال. ويمكنك الخروج دائماً من هذا المأزق».

إن السؤال الدينى دائماً ما يصوب ضرباته في الصميم ويجبرنا على اتخاذ قرار: هل سأصدق كلمة الله وأطيعه أم أننى أتجاهل الله وأتبع ميولى وأهوائى؟

إن الله دائماً ما يرتب الظروف بطريقة تجعل السؤال الدينى يواجهنا لأننا بمواجهته دائماً ما نجد إمكانية التردد، والتشبث بالرأى، والأنا أو اختفاء الضعف في قلوبنا وهو على أهبة الاستعداد لكى يدفعنا قسراً نحو لحظة حرجة.

علينا جميعاً مواجهة هذا السؤال الدينى والوصول إلى إجابة شافية ترتبط بكل جوانب حياتنا الأساسية.

في الواقع يقول الله في كلمته: «لو أنكم سمعتم إلى كل ما أمرتكم به تأكلون خير الأرض، لا تسرق، لا تكذب، لا تزنِ، لا تشتهِ ما ليس لك، لا يكن لك آلهة أخرى أمامى، لا تقتل، أكرم أباك وأمك...». ثم يلخص هذا كله في هذه الكلمات: «تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ،

وَمِـنْ كُـلِّ نَفْسِـكَ، وَمِنْ كُـلِّ فِكْـرِكَ...... تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِـكَ» (متى ٢٢:٣٧، ٣٩).

هل حقاً قال الله ذلك؟

إننا جميعنا نواجه هذا السؤال، وأيضاً هذا الاقتراح: «إن هذه القواعد قد وضعها إله عجوز بخيل لا يريدنا أن نتمتع بأية متعة». وتقريباً كل شاب قد وقع في حب شابة يواجهها هذا السؤال الدينى: «أحقاً قال الله بألا يكون لنا علاقات جنسية قبل الزواج؟ ولكننا حقاً نحب بعضنا بعضاً وسنتزوج قريباً يوماً ما، فما الضرر الذى قد يحدث لك؟».

إن السؤال الدينى يقترح دائماً أن طريقتك الخاصة هى أفضل وأسهل طريقة بينما طريقة الله صعبة وقاسية ومن الممكن ألا تقودك إلى تحقيق أحلامك وطموحاتك.

وبينما أنت في قبضة التجربة، فإن السؤال الدينى سيظهر لك نفسه في شكل خداع وتبرير وأعذار لدرجة أنك ستجد أن عقلك وحواسك ربما تتعارض مباشرة مع كلمة الله.

ذات مرة قدمت المشورة لشابة لم تتزوج بعد وكانت تتمزق بسبب رغبتها في رجل متزوج فعلاً، ولم يكن يشعر في زواجه بالسعادة، ومن أول مقابلة لهما بدأ في علاقة مبنية على اهتمامات مشتركة وكان لهما أيضاً نفس الإيمان بالله. لقد كانا ما يمكن أن أسميهما بمسيحيين مخلصين أرادا أن يطيعا إرادة الله. لقد اتخذت قصتهما شكلاً تقليدياً، ثم اكتشفا سريعاً بأن علاقتهما قد تطورت واتخذت منحنى روحياً

فـي الحب. وفيما بعد أصبحت عاطفتهما الجياشـة تتوطد أكثر فأكثر إلى أن وجدا نفسـيهما قاب قوسين أو أدنى من الزنا الفعلى. وعند هذه النقطة أتت هذه الشابة إليَّ طالبة مني النصيحة.

وكانت تسـأل متمنيـة أن يجانبها الصواب: «أليـس من الممكن أن تكـون هذه قيادة الله لنا أن نكون معاً؟.. أليس من الممكن أن تكون هذه إرادة الله؟.. إن علاقتنـا معاً رائعة الجمال، وعلـي ما يبدو أنها صحيحة تماماً بما لا يدعو مجالاً لشـك، علاوة على أننا نشـعر بأن علاقتنا وطيدة جداً مع الله عندما نكون معاً».

ولقد جادلتها قائلاً: «ماذا قال الله عن الزنا؟».

لقد أقرت بذلك قائلة: «إننا نعرف ذلك.. ولكن ما نفعله يختلف عن الزنا. إذ أننا سنتزوج في حالة انفصال زوجته عنه بالطلاق».

كررت كلامي: «ماذا ستفعلين حيال وصية الله؟».

أطرقت رأسها مدمدمة:

«إنني لا أشعر بأننا نفعل شيئاً خطأ. كيف يمكن أن يعارض الله أمراً طبيعياً ورائعاً؟».

ثم وجهت إليها سـؤالاً آخر: «لو لم يكـن الله جاداً بخصوص الزنا، كيـف إذاً تعرفين ما الذي يوليـه اهتماماً بالغاً؟ هل سـتحكمين على الأمور حسب مشاعرك أم وفقاً لما قد قاله الله؟».

اغرورقـت عيناها بالدموع بعدما سـلمت بما أقـول وعبرت عن ذلك

قائلــة: «إننى فهمت أخيراً ما الذى تقصده، لذا وجب علىّ أن أذهب إلى المنزل وأصلى من أجل ذلك الأمر أكثر فأكثر».

لقــد رجعت إلــى ثانية بعد مضــى ثلاثة أيام وكان وجهها شــاحباً وباهتاً. وابتدأت حديثها قائلة:

«أنت تعلم بأننى أردت هذا الأمر بشــدة أن يكون واقعاً معاشــاً في حياتى، ولم يكن لى مطلب في هذه الحياة سوى هذا الأمر. ولكن عندما رجعـــت من مكتبك إلــى بيتى وقــرأت وصايا الله ـ تيقنت بــأن ما كنا نفعله مخالف لكلمته، ويسميه الله خطية. لقد كانت رقعة بغيضة في ثيابى وأنا أرتدى شيئاً كنت أشعر أنه أكثر الأمور روعة في حياتى».

امتعضت شفتاها ولم تنطق ببنت شفةلحظة من الزمن ثم واصلت حديثها قائلة:

«لقد مرت علىّ ساعات عديدة كان العذاب الشديد هو الذى يسطر على صفحة حياتى، ولم أكن متأكدة تماماً إذا ما كانت بغيتى أن أسلك بعيــدة عن هــذا الأمر على الرغم من أننى قــد تيقنت من عدم صحته. لقد كانت مشــاعرى حزينة متأســفة لأننى لم أشعر بطعم السعادة الحقيقيــة قط إلا عندما أكون معه. ولهــذا كدت أن أدير ظهرى لله من أجل هذا. لم تمر علىّ قط تجربة في حياتى أكثر حلاوة من هذه التجربة. وبعــد كل هذه الخواطر قررت بأننــى في أعماق قلبى كنت أتوق إلى إرادة الله أكثــر من أى أمر آخر حتى لو كان يعنى بالنســبة لى أننى لن أتمتع بحب رجل في حياتى بعد ذلك».

بعد أن طوى الزمن يومين وليلتين على قرارها هذا، عبرت عما كان يجيش في صدرها بأنها كانت في حرب شعواء مع رغبتها الملحة التى أشبه ما تكون بأمواج بحر عاتية قائلة: «مررت بنوبات كثيرة كنت أسير في حجرتي جيئة وذهاباً مكررة مرة ومرات بشكلٍ مطرد، يسوع، يا يسوع، إننى أحبك يا يسوع. لم أكن حتى أستطيع قراءة كتابي المقدس لأننى كنت تائهة شاردة الفكر».

إن التجربة لا يمكن أن تبقى حقيقية إلا إذا كانت تحتوى في داخلها فعلاً على إمكانية الفشل وهي اللحظة التى تواجه فيها هذه المسألة بأمانة فهى تكاد تكون مثل إلقاء قرعة لاتخاذ الطريق الذى ستسلك فيه. إن التجربة تبدو حلوة للغاية ومعقولة ومنطقية جداً حيث إنك تكاد تتاجر فيما تعرضه عليك بحسب أقوال الله. لكن بعدما تواجه مثل هذا القرار تكون بذلك قد انتقلت من الخدمة الشفهية لله إلى عزم وتصميم قلبى في إطاعته بغض النظر عما قد يكلفك ذلك.

لقد انتهت مقابلاتنا بهذه المكاشفة:

«لقد قلت حدة المعركة في اليوم الثالث. إنها مازالت تؤلمنى، ولكننى أشعر كأننى خرجت من السجن. إننى أتنفس الصعداء الآن ولديَّ شعور قوى أكيد بداخلى بأن كلمة الله أكثر صدقاً وواقعية عن أى شيء آخر في هذا الكون الفسيح. الآن أشعر بأننى أكثر أماناً عما كنت عليه من قبل. إننى أعرف أن الله سيحقق ويتمم ما يقوله وما يعد به».

وبعد مُضى أقل من عام تزوجت هذه الشابة بإنسان مسيحى آخر

وجاءت وأخبرتنى قائلة: «إن أرض موعد الله دائماً وأبداً أفضل من الأمور التى نتخلى عنها لكى نتبع وصيته».

إن التجربة ستقترح دائماً طريقاً بديلاً نحو أرض الموعد وهذا الطريق البديل - بالطبع - نهايته الهلاك في البرية.

إن السؤال الدينى سيقترح أيضاً التواء لتعليمات الله. ولهذا فمن الضرورة بمكان أن نفهم جيداً ما يقوله الله في المرتبة الأولى.

يجب أن يكون المؤمن ملماً جيداً بكلمة الله. فهى دليلنا ومرشدنا في رحلتنا في البرية نحو أرض الموعد. وإذا كنا نتبع قانون المبادىء الأربعة، فإننا بحاجة إلى الكتاب المقدس لكى يفحصنا عند كل مرحلة عبر الطريق.

عليك أن تتحقق أولاً من الوعد. وهل هو بحسب كلمة الله؟

لا تأخذ وعداً بعيداً عن حاشيته ولا تقبل وعداً شخصياً وتفترض أنه من الله بدون أن تتحقق من ذلك في ضوء نوعية ومبادىء الكتاب المقدس. قد تكون لك رغبة قوية في الحصول على أمرٍ ما وتطلب من الله بلجاجة أن يعطيه لك. وقد تشعر أثناء الصلاة أو من خلال الظروف التى تمر بها بأن الله سيسمع صلاتك. تحقق دائماً من رغبتك في ضوء ما يريد أن يخبرك به الكتاب المقدس. فإذا كانت هذه الرغبة متعارضة مع جوهر الله أو كلمته، فإن هذا الوعد يعتبر مزيفاً.

ذات مرة صلّت امرأة للرب أن يعطيها قطعة أثرية جميلة كانت

موضوعة في جراج أحد جيرانها، معتقدة بأنه لا يريدها حقاً. وبعد أن تضرعت للرب كثيراً شعرت في داخلها بأنها متأكدة تماماً بأن الله سيمنحها هذه القطعة. وبعد أسابيع من الانتظار، ظنت بأن الرب يريد منها أن تذهب إلى جارها وتطالبه بهذه القطعة ولقد كانت النتيجة غير سارة بالمرة في أحداث هذه القصة على قدر ما تطلق لفكرك العنان!

كانت هذه القطعة متاعاً موروثاً للعائلة ولقد كان المالك يخطط في أن يعيد تجديدها. لقد احتدت المرأة وأصيبت بخيبة أمل وتأثرت مشاعرها بشدة من جراء ذلك.

لو أن المرأة التى كانت تصلى من أجل هذه القطعة قد فهمت مبادىء الله جيداً، لعرفت بأنه يوصينا أن لا نشتهى ما لغيرنا.

احذر من مواصلة السير مستنداً على وعود خاطئة، لأن الله لن يعدك بشىء أبداً مخالفاً لكلمته.

لا تشته سيارة جارك الجديدة، ولا بيته أو كلبه أو زوجته! ولا تترك نفسك أبداً في خداع التصديق بأن الله يعد بمنحك أى شىء يمتلكه فعلاً شخص آخر. تلك هى نوعية من الاقتراحات التى يسوقها إلينا السؤال الدينى. لو كانت ديونك تُقدر بـ ٦٦ر٦٩٧ دولاراً أمريكياً وطلبت من الله أن يعطيك ما تحتج إليه لتسديد هذه الديون، وإذا بك تجد حافظة للأوراق النقدية بجانبك على كرسى الأتوبيس. وعندما فتحتها وجدت أن بداخلها سبعمائة دولار بالتمام والكمال! حتماً سيأتى إليك السؤال الدينى كتيار جارف: «أحقاً قال الله بألا تسرق؟».

«نعم، إن هذه إحدى الوصايا العشر وهى في العهد الجديد أيضاً».

«ولكن ألا تدرك بأن الله أتى بحافظة النقود هذه خصيصاً لأجلك؟ إن المبلغ الموجود بداخلها هو فعلاً ما تصلى من أجله. لا أحد سيعرف أبداً بأنك أخذتها، كل ما عليك هو أن تجعل النقود تفلت من حافظة النقود، تاركاً الحافظة كما هى على الكرسى».

إن الله لا يناقض نفسه أبداً ولا يوافق على ما يتعارض مع كلمته. ادرس الكتاب المقدس، وتعلم مبادءه، وكن مستعداً لمواجهة السؤال الدينى مهما كانت قوته مقنعة.

تذكر أن نفس الأسئلة التى ذكرناها من الممكن أن تتعرض لها بعد خلاصك: «هل أنت متأكد من أنك حصلت على الخلاص؟».

ـ «أعتقد أننى كذلك».

ـ «ولكنك لا تشعر بأنك مُخَلَّص وكذلك أعمالك لا تدل على أنك قد حصلت فعلاً على الخلاص».

ـ «لكننى أؤمن بيسوع المسيح وكلمة الله تؤكد بأننى حصلت على الخلاص». عليك بأن تستند على كلمة الله في مواجهة مشاعرك، وعواطفك، ومبرراتك الذاتية.

إحدى الأمهات تنال وعداً بأن الله سيخلص ابنها، فتذهب إلى بيتها متهللة ولكن بعد مضى فترة من الزمن تجد أنه أدمن الأفيون بشدة. وهنا تتعرض للسؤال الدينى: «أحقاً قال الله بأنه سيخلّص ابنك؟».

- «نعم، إننى متأكدة».

- «ولكــن تتطلعــي إليــه الآن، هــل مازلــتِ تعتقدين بــأن الله يقدر أن يخلصه؟.. ألا ترين حالته المزرية؟!».

- لن يستطيع الله الوصول إليه أبداً».

- هل تعتمدين علــى كلمة الله، وتثبتين أنظارك فيه بدلاً مما تقوله لكِ مشاعرك أو عقلك؟

- إن الله قد حرره من إدمان الأفيون قبلاً، وسيفعل ذلك مرة ثانية.

وهكذا في موقف آخر:

- إن وعد الله لكِ «سـأحرر زوجك وسـأحوِّل بيتك إلى سـماء من الحب المسيحى والوحدة».

- ثـم يأتى بعد ذلك الشـرط أو المبدأ: «إذا كنتِ تثقــين فيَّ وتؤدين دورك كمؤمنة خاضعة لزوجك كما هو».

- «ولكن يارب....».

- وفي ذلك المســاء كان زوجك مخموراً، وسبَّ ولعن وترك المنزل وهو في ثورة غضب عارمة.

- هنا يأتى السؤال الدينى: «أحقاً قال الله بأنه سيحرر زوجك؟».

- «نعم».

- «لن يقدر أبداً على تغييره!».

أيمكنك أن تستندى على الوعد، أم أنكِ سوف تستسلمين للتجربة وتصرخين صرخة مدوية؟ «إن الله لا يستطيع أن يفعل شيئاً حيال ذلك، فهو يتصف بعناده الشديد للغاية».

إن رد فعلك هذا سوف يأتي بك إلى مرحلة أخري من المشكلة.

عندما يقول الله بأنه سيأخذك إلى أرض الموعد، فإنه يمكنك فقط أن تصل إلي هناك إذا ما اتبعت تعليماته. إن السؤال الدينى سيقترح دائماً طرقاً بديلة.

وسوف نستعرض الآن معاً قصة معاملات الله مع إبراهيم بخصوص تحقيق وعده على الرغم من أن إبراهيم كان شيخاً متقدماً في الأيام، سوف يكون له ابن وسوف يكون نسله مثل النجوم التى لا تُحصى! (تك ١٥ ـ ٢).

لقد صدّق إبراهيم وعد الله، وانطلق إلى البيت وأخبر زوجته سارة بذلك. وبما أن إبراهيم وسارة كانا متقدمين في العمر، كانا متأكدين بأنه لا يمكن لهما أن يرزقا بأولاد وبررا ذلك بأنه إذا كان وعد الله سيتحقق، وَجَبَ على إبراهيم أن يدخل على امرأة أخرى لعله يُرزق منها بابن. فقالت سارة لأبرام: «هُوَذَا الرَّبُّ قَدْ أَمْسَكَنِي عَنِ الْوِلاَدَةِ. ادْخُلْ عَلَى جَارِيَتِي لَعَلِّي أُرْزَقُ مِنْهَا بَنِينَ» (تكوين ١٦:٢).

لم يأمر الله أبرام أن يدخل علي جارية ساراى. لقد اتبع أبرام وساراي منطقهما وتبريرهما، مدفوعين بهذا السؤال الدينى: «لو أن الله قال بأنكما سوف ترزقان بأبناء كثيرين، فمن الأفضل أن تجد لك امرأة شابة

قـادرة عـلى إنجابهم». وحيـث إنهما لم يتبعا تعليمـات الله عن طريق انتظـار الـرب أن يعطيهما ابناً، وجدا أنفسـهما فـي مرحلة أخرى من المشكلة ذاتها وقد زادت حدتها بسبب قرارهما الخاطىء.

لقد أصبحت هاجر الجارية حاملاً وأنجبت ابناً دُعى إسماعيل. وحلّ في البيت شعور سقيم بين ساراى وهاجر، وقد سبب نسل إسماعيل فيما بعد مشاكل لبنى إسرائيل بعد ثلاثة عشر عاماً من ميلاد إسماعيل أتى الله مرة ثانية إلى أبرام وأخبره بأنه سيقيم معه ومع نسله عهداً أبدياً. لقـد قال الله بأن أبرام سـيكون أباً لأمم كثيرة وغيّر اسـمه إلى إبراهيم (ومعنى هذا الاسم أب لأمم كثيرة).

وقـال الـرب لإبراهيم: «سَـارَايُ امْرَأَتُكَ لاَ تَدْعُو اسْـمَهَا سَـارَايَ، بَلِ اسْمُهَا سَارَةُ (ومعناه أميرة). وَأُبَارِكُهَا وَأُعْطِيكَ أَيْضًا مِنْهَا ابْنًا» (تكوين ١٥:١٧).

انحنـى إبراهيم على ركبتيه على الأرض ليعبد الرب، ولكنه ضحك في نفسـه لأنه كان ابن مائة عام، وكانت سارة قد بلغت تسعين عاماً، فكيف يكون لهما ابن؟

لقد تأكد إبراهيم أنه قد سـمع خطأ، ولذا قال لله: «لَيْتَ إِسْمَاعِيلَ يَعِيشُ أَمَامَكَ» (تكوين ١٨:١٧).

فقـال الله: «بَلْ سَـارَةُ امْرَأَتُـكَ تَلِدُ لَكَ ابْنًا وَتَدْعُو اسْـمَهُ إِسْـحَاقَ (ومعنـاه يضحـك). وَأُقِيمُ عَهْدِي مَعَهُ عَهْـدًا أَبَدِيًّا لِنَسْـلِهِ مِنْ بَعْدِهِ» (تكوين ١٩:١٧).

لقد كان الله دقيقاً جداً وهذه المرة لم يجرب إبراهيم أى طرق مختصرة خاصة به، ولم تعد هناك أسئلة دينية فيما بعد! لقد صدق الله، وبعد عام أنجبت له سارة ابناً وسمياه إسحق. لقد قصد الله أن يجتاز إبراهيم هذا الاختبار قبل أن يحقق وعده بأن يجعل إسحق أباً لأمم كثيرة.

وبعد مُضِى فترة من الزمن امتحن الله إيمان إبراهيم وطاعته مرة ثانية أن يقدم ابنه ذبيحة لله (تك ٢٢:١، ٢).

ألا تتخيل معى في هذه الفترة الكم الهائل من الأسئلة الدينية التى كانت تدور في عقل هذا الأب كالدوامة: «أحقاً قال الله أن أقدم إسحق محرقة؟ وماذا عن العهد الذى قطعه مع إسحق؟ لقد وعد بأن يجعله أباً لأمم كثيرة وقال إنه سيقيم عهده معه ومع نسله للأبد. لو أن الله سيقيم عهده مع إسحق، فمن الأفضل عدم تقديمه محرقة».

إسحق ـ ابنه الوحيد ـ الذى كان يمثل له الكثير عن أى شىء آخر على وجه البسيطة.

إن كان على الله أن يجعل إبراهيم يجتاز هذا الامتحان لكى يرى إذا ما كان يعتبر إسحق في مرحلة أعلى من طاعته له شخصياً.

لو كان لدى إبراهيم ثمة أدنى تردد، لكان سيظهر بكل تأكيد آنذاك. ولو كان إبراهيم متقلب الرأى بأي حال من الأحوال، لما سمح له الله أن ينال شرف تحقيق وعده العظيم.

ولكن إبراهيم صمد، وانطلق في طريقه لتقديم المحرقة. ومد إبراهيم

يده وتناول السكين ليذبح ابنه. «فَنَادَاهُ مَلاَكُ الرَّبِّ مِنَ السَّمَاءِ وَقَالَ: «إِبْرَاهِيمُ! إِبْرَاهِيمُ!». فَقَالَ: «هأَنَذَا» فَقَالَ: «لاَ تَمُدَّ يَدَكَ إِلَى الْغُلاَمِ وَلاَ تَفْعَلْ بِهِ شَيْئًا، لأَنِّي الآنَ عَلِمْتُ أَنَّكَ خَائِفٌ اللهَ، فَلَمْ تُمْسِكِ ابْنَكَ وَحِيدَكَ عَنِّي» (تك ٢٢:١١، ١٢).

وإذ تطلع إبراهيم حوله رأى خلفه كبشاً، فذهب وأحضره وأصعده مُحرقة عوضاً عن ابنه. ودعا إبراهيم اسم ذلك المكان «يهوه يرأه» (ومعناه: الرب يدبر ـ أو يحقق).

لقد أثبت إبراهيم أن الله قادر أن يحقق! لقد واجه التجربة والأسئلة الدينية، مفضلاً بالأحرى أن يطيع كلمة الله.. هل ترى كيف أن هذه المعاملات مع إبراهيم كانت تتبع قانون المبادىء الأربعة؟

لقد تلقى الوعد، متبوعاً، بالمبدأ: «أطلقنى وثق بى». ثم تلى ذلك المشكلة، والتى كانت تبدو كما لو كان الوعد بأكمله قد تم إقصاؤه. ولكن إبراهيم تمسك بالمبدأ إلى أن وصل إلى إتمام الوعد.

إن الطاعة وحدها قادرة على أن تصل بك إلى إتمام الوعد. ولكن عليك أولاً أن تواجه السؤال الدينى وتجيب عنه. تأكد مما يريده الله منك أن تفعله. افهم المبدأ، وكن مستعداً على التمسك به مهما كانت درجة السؤال الدينى مقنعة!

الفصل السابع

التجربة في ميزان دقيق

ثمة قصة قديمة عن رجل كان سائراً في الطريق فرأى شيطاناً جالساً على حجر في حافة الطريق ينتحب بمرارة. فسأله: «لماذا تبكى هكذا؟». فأجابه الشيطان: «دائماً ما يلومنى الناس على أمور لم تكن لى فرصة القيام بها!».

لقد ظل الشيطان لفترة طويلة كبش الفداء المفضل لنا. عندما نقوم بعمل شيء ما كان يجب ألاّ نقوم به، نلقى باللوم على الشيطان قائلين: «لم أكن أقصد القيام بذلك الأمر، ولكن الشيطان أغوانى».

إن التجربة في الواقع يتوقف توازنها الدقيق بين ثلاثة مشاركين فيها وهم: الله، والإنسان، والشيطان.

نعم، إن الشيطان متورط بدرجة كبيرة جداً، وادعوه كما تشاء: إبليس أو الشيطان، زُهرة بنت الصبح الساقط أو ليوسيفر، أو ظلف مشقوق (رمز للإغواء)، أو حتى الشرير!

ومع ذلك فهو قوة يُعْمَل لها حساب. فلقد رأينا في السنوات العشر الأخيرة معرفة متزايدة بقوته في مثل هذه الظواهر كعبادة الشيطان، وتحضير الأرواح، والعرافة، والتيارات المتدفقة في السحر والتنجيم. ولكن مهما تكن قوة الشيطان، فهو ليس المحرك الرئيسى في التجربة، ولكن

الله هــو الذى يفعل ذلك. إن الله هو الذى رســم أعمــال قانون المبادىء الأربعة لنراجع ذلك ســوياً مرة ثانية. إن الله أعطانا الوعد والمبدأ ووضع المشكلة كإعداد لنوال تحقيق الوعد.

إن التجربة مع الأسئلة الدينية التى تقذفنا كالقنابل هى في مركز المشكلة وهذا يأتى بنا إلى اختيار طاعة أو عصيان كلمة الله. هنا يأتى السؤال: هل يجرب الله الإنسان؟

كثير من الناس يستشهدون برسالة (يعقوب ١:١٣) لإثبات أن الله لا يجرب أحداً: «لاَ يَقُلْ أَحَدٌ إِذَا جُرِّبَ: «إِنِّي أُجَرَّبُ مِنْ قِبَلِ اللهِ»، لأَنَّ اللهَ غَيْرُ مُجَرَّبٍ بِالشُّرُورِ، وَهُوَ لاَ يُجَرِّبُ أَحَدًا». ومع ذلك فلقد تناقشنا الآن وبيننا كيف جرب الله إبراهيم هل يوجد تناقض هنا؟

لا يوجد ثمة أى تناقض، لأننا لو دققنا النظر بما استشــهدنا به عند القراءة من سفر يعقوب، سوف نلاحظ أن الله لا يُجرب أحداً لكى يفعل خطأ.

إليــك الحل: نحـــن نعلم أن التجربـــة معناها إثبــات أو برهان أغراض صالحة أو رديئة (خبيثة).

إن الله لا يجــرب أحداً أبداً لأجــل أهداف رديئة، ولكنه يجرب بالفعل الإنسان بأن يضعه أمام برهان من أجل أغراض صالحة، ومن ثم نستطيع القول إن الله يمتحنا من أجل إعدادنا لنوال أمور رائعة قد وعدنا بها.

إذا نظرنا للأمور من الناحية العملية، كيف يمتحن الله الإنسان؟

وللإجابة علينا أن نستشهد بما جاء في سفر (أخبار الأيام الثانى ٣٢:٣١): «وَهكَذَا فِي أَمْرِ تَرَاجِمِ رُؤَسَاءِ بَابِلَ الَّذِينَ أَرْسَلُوا إِلَيْهِ لِيَسْأَلُوا عَنِ الأُعْجُوبَةِ الَّتِي كَانَتْ فِي الأَرْضِ، تَرَكَهُ اللهُ لِيُجَرِّبَهُ لِيَعْلَمَ كُلَّ مَا فِي قَلْبِهِ (حزقيا الملك)».

ربما هذا يثير سؤالاً آخر، فالكتاب المقدس يقول إن الله ترك حزقيا، فكيف يتفق هذا مع شواهد الكتاب المقدس الكثيرة التى تبين أن الله لن يتركنا أو يتخلى عنا أبداً؟ كما يقول: «إِنْ صَعِدْتُ إِلَى السَّمَاوَاتِ فَأَنْتَ هُنَاكَ، وَإِنْ فَرَشْتُ فِي الْهَاوِيَةِ فَهَا أَنْتَ. إِنْ أَخَذْتُ جَنَاحَيِ الصُّبْحِ، وَسَكَنْتُ فِي أَقَاصِي الْبَحْرِ، فَهُنَاكَ أَيْضًا تَهْدِينِي يَدُكَ وَتُمْسِكُنِي يَمِينُكَ» (مز ١٣٩:٨ ـ ١٠).

ومع ذلك، يقول الوحى إن الله ترك حزقيا ليختبر سرائر قلبه، وهنا علينا أن ندرك الفرق بين الله كلى الوجود، وبين شعورنا بوجوده. إن الله ترك حزقيا فقط بمعنى أنه صرف وعى حزقيا عن حضوره. لقد كان الله مازال هناك، ولكن لم يشعر حزقيا بوجوده.

وهذا ما يحدث عندما يخرج الأب تاركاً أولاده، وهنا يكون الاختيار الحقيقى لطاعتهم. «والآن يا حبايبى الصغار عندما أخرج، لا تتشاجرون ولا تقتربوا من علب البسكويت!».

ـ «بالتأكيد يا بابا، سنكون رائعين!».

وبعد مضى أربع ساعات أتى الأب إلى المنزل ووجد جميع علب البسكويت ما عدا واحدة!

بطريقة أخرى كيف يكشف الله ما بداخلنا؟ طالما نشعر بوجوده طوال الوقت، فلنا طمأنينة أكيدة لإحساسنا بوجوده، ولن نُجَرِّب بأن نرتاب فيه أثناء المشكلة (لأنه موجود).

أولاً: يعطينا الله وعده. ثانياً: يعلمنا المبدأ. ثم بعد ذلك يسحب إحساسنا بوجوده فندخل إلى المشكلة، حينئذ تواجهنا التجربة والسؤال الديني.

ـ «هل أنت متأكد أن الله يهتم بك؟».

ـ «حسناً، أعتقد كذلك».

ـ «ولكنك لم تعد تشعر بوجوده في المكان، أليس كذلك؟».

ـ «لا.... ولكن....».

ـ «انظر! إن الله لا يهتم: لقد تركك الله في وسط هذا الظرف العصيب لتجتاز فيه بمفردك!».

هنا تكون التجربة في ميزان دقيق، عندما يصرف الله وعينا عن حضوره، ويسمح لإبليس بالاقتراب. قد تكون متأكداً كيف يضع الشيطان السؤال الديني مستغلاً ضعفنا. فإذا ما رجعنا إلى العدد الذي يسبق (يعقوب ١:١٣) مباشرة لأدركنا ما يريد أن يعلمنا إياه: «وَلَكِنَّ كُلَّ وَاحِدٍ يُجَرَّبُ إِذَا انْجَذَبَ وَانْخَدَعَ مِنْ شَهْوَتِهِ».

هل هذا يزيل الغموض أكثر عن بعض الأسئلة؟ لو أن حواء شعرت

بوجــود الله فــي جنــة عـدن، لما كانت هناك ثمة مشـكلة. وربما قال الله لها أثناء سـيرها نحو الشـجرة بـأن تلك هى الشـجرة التى لا تأكلين منهـا، وعليـك أن تحذرى مـن هذا المخلـوق ذى المظهر الجميـل والصوت الهامس الرقيق وهو الشـيطان الذى يحـاول معك لعصيانى ووضعك في مشكلة.

كلا، لم يكن الأمر بهذا الشكل. إن غرض الله عندما يسحب إدراكنا عن حضوره، هو أنه يجعلنا نواجه التجربة والسؤال الدينى على أساس المبدأ فقط!

لو أن الإسـرائيليين شـعروا بقوة وجود الله عندما تركهم موسـى وصعد إلى جبل سـيناء، لما كانوا قد واجهوا التجربة بأن يصنعوا تمثالاً على شكل عجل مسبوك بالذهب، وكان الله معهم ويطمئنهم هكذا: «إننى هنا يا أولادى. لا تقلقوا، إننى سـأكون دائماً معكم، وستشـعرون دائماً بأننى قريب منكم».

لـو أن الله يريـد أن يكشـف مـا فـي قلوبنا حقـاً، فمـن المؤكد أن يسحب منا الإحساس بوجوده وفي أثناء ذلك الوقت تكون هناك فرصة للشيطان بأن يتلاعب بالسؤال الدينى كيفما شاء، ونحن في وسط ذلك مسـتهدفون. إن التوازن يعتمد علينا. إننا مجبـرون على أن نفاضل ما بين اقتراحات الشيطان وتعليمات الله. فإذا كانت قلوبنا تعج بالرغبات الشريرة، فسـوف نسـتجيب لاقتراحات الشيطان. إن الشيطان لا يمكن أن ينجـح في أن يلهينا عن تعليمات الله ما لم يكن هناك بالفعل قدر

معين من التقلب في الرأى داخلنا. وإذا لم يكن هناك شىء داخلنا، فلا يوجد ما يلتمسه إبليس ضدنا. ولقد وضح لنا يسوع ذلك المبدأ بقوله «لن أكلمكم كثيراً بعد، فإن سيد هذا العالم (إبليس) قادم علىّ، ولا شىء له فىّ (لا يوجد أى شىء فىّ يخصه، ليس له علىّ أى سلطان)» (يوحنا ١٤:٣٠) (كتاب العهد الجديد التفسيرى).

إن إبليس ينجح فقط في تجربتنا في المناطق التى يوجد بيننا وبينه شىء مشترك. هذا هو المكان الذى له فيه إدعاء قانونى وله أن يبذل جهداً.

إن الله يريد أن يرفع هذه المناطق على السطح لتطهيرنا منها ولكى يملأنا بمحبته. إن التجربة في خدمة هذا الغرض. إن هذه الاختبارات التى سنتشارك فيها معاً قد لا تناسبك، لكن الله يعرف كيف يجعل الفرد منسجماً تماماً مع الموقف، وهو بالفعل يفعل ذلك!

عندما يستعد أن يتعامل معنا في منطقة معيّنة فإنه يصرف وعينا عن حضوره، وهنا يتدخل الشيطان ويقول: «لقد ابتعد الله الآن» وبسبب الشعور بالوحدة والاكتئاب، فإننا نوافق قائلين: «نعم، الله ابتعد الآن». ثم يقول لنا الشيطان: «هل تذكر مدى شعورك منذ بضعة أسابيع؟ إن حضوره جعلك تشعر بالدفء والفرح والتحدى أليس كذلك؟». ونجيب ببأس: «نعم، إن هذا صحيح». ويستمر المجرب قائلاً: «إن الله قد تخلى عنك، وما تحتاج إليه هو مشروب مُسْكِر جيد لكى يجعلك تشعر بالبهجة والانتعاش!».

ـ «ولكن الله لا يريدنى أن أشرب». ومازال السؤال الدينى مستمراً: «ألا يعرف ما تمر به؟ إنه بالتأكيد يعرف كم أنت ضعيفٌ وأنك في حاجة إلى مشروب. إنه لن يبالى لو شربت كأساً واحدة فقط. وهذا سيجعلك تشعر بأنك أفضل كثيراً. هيا اشرب يا عزيزى، لا تتردد...».

ومن ثم نستسلم للتجربة وننطلق نحو البار ونتناول كأساً واحدة فقط. ثم تتوالى الكئوس، الواحدة تلو الأخرى. وفي الصباح التالى، نشعر بأن البؤس تملك على حياتنا أكثر وأصبحنا أكثر غيظاً بإبليس «آه، لقد جعلنى الشيطان أسقط في هذه الخطية!».

كلا، إنه لم يفعل ذلك! ولكن كل ما فعله الشيطان هو أنه كشف أعماق قلوبنا. فلو لم تكن هناك ميول في هذا الاتجاه، لما كان لإبليس صولات وجولات في هذه المنطقة. إننا بحاجة أن نفهم هذا المبدأ. لنفحص معاً خطية ضعف أخرى.

يقول الله: «يا مؤمن، لا ترتكب خطية الزنا».

«نعم يارب، إننى أفهم ذلك». ثم يصرف الله وعينا عن حضوره وتظهر التجربة بذاتها. «يا مؤمن، أنت تعلم أن زوجتك لم تعد تفهمك حقاً».

«إن هذا صحيح. فهى لم تكن لطيفة جداً هذا الصباح!».

وبما أن الباب أصبح الآن مفتوحاً، فيواصل إبليس ما قد بدأه: «إنها لم تعد تبالى حقاً بمدى صعوبة عملك أو كم أنك إنسان مؤمن رائع بحق؛

ويستطرد الشيطان قائلاً: لماذا لا تشترك في حديث لذيذ مطول مع تلك السكرتيرة الخاصة بك الفائقة الجمال؟ إنها تفهم حقاً بأن وظيفتك التى تمارسها وظيفة مرموقة وما تكابده من صعوبات ومتطلبات هذه الوظيفة».

إن منتهى سعادة الله في أن يجعل زواج كل مسيحى متيناً وقوياً، ويريد أن يستخدمنا لكى تساعد الآخرين الذين لديهم مشاكل في الجنس والزواج.

إن القادة الروحانيين غير محصنين ضد التجربة، بل إن الله يجربهم أكثر لأن الله يريد أن ينطلق بنا إلى أرض الموعد حتى يمكننا أن نعين المجربين أثناء اجتياز المشكلة. ولا توجد طرق مختصرة بين الوعد والمبدأ والمشكلة وتحقيق الوعد لمثل هذه الفئة من الناس وهم «خدام الله الأمناء». لابد أن يجتاز المشكلة للوصول إلى تحقيق الوعد، ويواجَه في أثناء المشكلة بالتجربة والسؤال الدينى؛ فإذا كان هناك شيء في أعماق نفسه في حاجة إلى أن يطفو على السطح، فسيكتشفه لنفسه.

عندما أدركت لأول مرة دعوة الله لى للخدمة بأن أكون راعياً ومعلماً، شعرت في حضوره بفترة من الفرح الغامر الذى ملأ كيانى وقلت: «حسناً، سيتسنى لى خدمة الرب وسيكون بجانبى تماماً بقية حياتى». ثم تبدد شعورى بحضور الله وانغمست لفترة من الزمن في صراع المخاوف والشكوك والارتياب. وهنا هاجمنى السؤال الدينى: «أتقصد أن

الله دعــاك أنت للخدمــة؟» إن هذا فعلاً أمر مضحك! أنت تعلم بأنك لا تمتلك مقومات الخدمة إنك أيضاً ترتعب بشــدة من مواجهة الناس من على المنبر. لا تتعب نفســك لأن الله لن يقدر أبداً أن يســتخدم إنســاناً مثلك». وهكذا استمر الصراع بداخلى عدة أشهر.

لقــد كانــت كل الأســئلة الدينيــة ذات مغــزى مــن وجهــة النظر العقلية، ذلك لأننى كنت من هذا النوع الذى لا يكترث بالدراسة كثيراً. وعندما دعانى الله كنت من نوعية ذلك الشخص الثقيل الفم، فكيف سيتسنى لى لاحقاً أن أبشر أى إنسان عن الله وملكوته؟

ولقد وجدت حديثاً قد ســجله الوحى بين الله وإرميا وكان له التأثير الكثير بالنسبة لى، وهو ما يلى: : «فَكَانَتْ كَلِمَةُ الرَّبِّ إِلَيَّ قَائِلاً: «قَبْلَمَا صَوَّرْتُكَ فِي الْبَطْنِ عَرَفْتُكَ، وَقَبْلَمَا خَرَجْتَ مِنَ الرَّحِمِ قَدَّسْتُكَ. جَعَلْتُكَ نَبِيًّا لِلشُّعُوبِ». فَقُلْتُ: «آهِ، يَا سَيِّدُ الرَّبُّ، إِنِّي لاَ أَعْرِفُ أَنْ أَتَكَلَّمَ لأَنِّي وَلَدٌ». فَقَالَ الرَّبُّ لِي: «لاَ تَقُلْ إِنِّي وَلَدٌ، لأَنَّكَ إِلَى كُلِّ مَنْ أُرْسِلُكَ إِلَيْهِ تَذْهَبُ وَتَتَكَلَّمُ بِكُلِّ مَا آمُرُكَ بِهِ. لاَ تَخَفْ مِنْ وُجُوهِهِمْ، لأَنِّي أَنَا مَعَكَ لأُنْقِذَكَ، يَقُولُ الرَّبُّ وَمَدَّ الرَّبُّ يَدَهُ وَلَمَسَ فَمِي، وَقَالَ الرَّبُّ لِي: «هَا قَدْ جَعَلْتُ كَلاَمِي فِي فَمِكَ.» (إرميا ١:٤ ـ ٩).

ولكن أتى إلىَّ السؤال الدينى مرة ثانية:

هذا مــا كان مع إرميا! لماذا لا تتخلى عــن فكرتك التى لا معنى لها وتعمل شيئاً مفيداً في الحياة؟».

اســتمرت المعركة إلى أن أتى يوم تقدمت فيــه إلى المنبر حيث كان

مطلوباً مني أن أقوم بالخدمة كنوع من التدريب أثناء دراستى اللاهوتية. وقفت هناك أمام الاجتماع شبه مرعوب وكان صوتى متهدجاً وضعيفاً يكاد لا تخرج منه الكلمات إلا بشق النفس: «إن الله قد دعانى للوعظ. أنا أعلم أننى لست مؤهلاً لذلك بدرجة كافية، ولكنه هو سيجعلنى قادراً على ذلك، ومن ثم لا يمكننى التراجع!». وفي الحال هدأت لَدَىَّ الأفكار المتصارعة، وفتحت فمى وبدأت أعظ بعزمٍ جديد بأن كلمة الله هى كل ما كنت أحتاج إليه سنداً لى.

إن غالبيتنا يستخدمون المشاعر لقياس ما يُسمى بالروحانية إذ نقول: «إننى أشعر بالروحانية اليوم وأشعر بوجود الله يملأ المكان، وهذا ما يُثْلِجُ مشاعرى! ألم يكن اجتماع الليلة الماضية اجتماعاً رائعاً؟ ألم تشعر بسكيب الروح القدس؟».

ولكن عندما تختفى هذه الأحاسيس والمشاعر بعد ذلك، تقل معنوياتنا بدرجة ملحوظة وتنقبض مشاعرنا ونميل إلى أن يكون لسان حالنا. هكذا: «إننى أشعر باكتئاب شديد لأنى لم أكن روحانياً. من الأفضل أن أزيد من فرصة صلاتى أو أن أذهب إلى اجتماع آخر الليلة، فسيتجلى الله بحضوره هناك».

إننا نميل إلى أن نكون مثل الشاب الذى مر بكل مراسم زفافه وبعد أن خرج من الكنيسة وكان سائراً على أحد أرصفة المشاة مع زوجته التى قد تزوجها على التو، وقال لها: «يا حبيبتى: إننى لا أشعر بأننى تزوجت، أليس كذلك؟». فترد عليه قائلة: «يا عزيزى من الأفضل لك أن تكيِّف مشاعرك لكى تتلاءم مع الحقائق!».

عندما نكون في وسط المشكلة، سنكون غير قادرين على الإحساس بحضور الله. إن الله يريد أن يحررنا من الاعتماد على مشاعرنا حتى يتسنى لنا أن نتعلم كيف نستند على كلمته فقط. النص التالى قد يكون تفسيراً حقيقياً من الله بالنسبة لتعاملاته في هذا «التوازن الدقيق» الذى نناقشه:

«سأكون معك في البرية وسوف أعطيك وعدى، وسأفسر لك مبدئى في سبيل تحقيق ذلك، وسوف أتأكد من فهمك لهذا. ولكن عندما تدخل في مشكلة، ينبغى أن أصرف وعيك عن حضورى. إننى سأكون معك ولكنك لن تكون مدركاً لذلك، يبدو كأنك وحيد كُليةً في مواجهة التجربة والسؤال الدينى. إن ذلك ضرورى بالنسبة لى حتى أجعلك تري ما أراه أنا في قلبك. وأعدك بأنه عند وصولك إلى أرض الموعد، ستشعر بحضورى مرة ثانية».

عندما يسمح الله لنا بأن نشعر بحضوره، يكون ذلك متعلقاً بكلا جانبى المشكلة.

في الواقع، إن غياب إحساسنا بوجود الله، يعتبر أحد خصائص توقيت المشكلة. إذا كنا نشعر بالخوف والهلع أثناء المشكلة كما فعل الإسرائيليون المرة تلو الأخرى، ونصرخ طالبين الله أن يسرع لنجدتنا، فسيأتى الله فعلاً لنجدتنا، ولكن ستكون النتيجة إطالة فترة المسير والطوفان حول الجبل وستطول أيضاً فترة إقامتنا في البرية.

حدث أن صديقاً لى قد مر باختبار مذهل أثناء دراسته بكلية اللاهوت.

وذات يـوم كـان يصلـي بمفرده فـي حـجـرتــه عـنـدمـا امتلأت الحجرة بحضور الله بطريقةٍ ملحوظة. لقد كان صديقى فرحاً وشاكراً في الوقت ذاته. وكان يشعر في قرارة نفسه أن الله يقول له: «لن أتركك أو أتخلى عنك». لقد كان وعداً رائعاً.

ثم سحب الله مشهد حضوره عنه طيلة عامين كاملين. لم يشعر صديقى ولا حتى مرة واحدة خلال تلك الفترة بأقل إحساس بحضور الله.

ولكنه كان يردد لنفسه، ويردد لنا: «لقد وعدنى الله بأنه لن يتركنى أو يهملنى. إننى لا أشعر به، ولكنى أعظّم اسمه فهو معى لأنه وعدنى بذلك». وبعد انقضاء عامين تجلى حضور الله معه مرة ثانيةً بصورة أوقع عن ذى قبل. لقد تعلم الدرس بأن يسير وفقاً لكلمة الله فقط.

عندما يسحب الله حضوره عنا، يتسنى للشيطان أن يتجه ناحيتنا أكثر، مصوباً سؤاله الدينى. تذكر أنك ذلك الشخص الذى تصمد أمام التوازن الدقيق للتجربة، وتعتمد النتيجة على قرارك. والسؤال الدينى يلتمس دائماً ما هو في أعماق قلبك، ومن الممكن أن يكون اختباراً مخيفاً عندما تدرك ما هو خفى هناك في أعماق قلبك.

إن داخل كل واحد فينا حب استطلاع نحو الشر. بعدما صرف الله وعى حواء عن حضوره، أتى إبليس بسؤاله الدينى: «ألا تريدين أن تكونى عاقلة وتعرفين الشر من الخير؟».

كان في أعماق قلب حواء فضولٌ أثاره السؤال المطروح: «يا ترى ما

هو الشر؟». لقد اتخذت قرارها بين طاعة الله أو الاستماع إلى اقتراح إبليس. إن الفضول الذى كان بداخلها هو الذى أمال ميزان الحق.

كثيراً ما يسمع الشباب نصائح بألا ينخرطوا في أمور بعينها، وتبدأ المعركة نتيجة لذلك. «إننى أتساءل بخصوص ما هية هذا الشيء... إننى لا أريد بالطبع أن أصبح مدمناً أو شريب خمر.. ولكننى أرغب في تذوق المخدر أو الشراب المسكر مرة واحدة وكفى!».

ذات مرة أخذ أب ابنه البالغ إلى مكتبه وسمح له بقراءة جميع الكتب باستثناء مجلد واحد موجود في أحد الأرفف العلوية بأحد الزوايا في المكتبة وذلك لأنه لم يصل بعد إلى مستوى النضج الذي يسمح له بقراءته. وبعد أن ترك الأب الحجرة، أراك تدرك ما هو الكتاب الذى هَمَّ هذا الابن للوصول إليه في سرعة بالغة! فعلاً هذا ما حدث! وقال لاحقاً: «لو أن بابا لم يذكر ذلك الكتاب، لما حاولت النظر إليه، فقد كان منظره كئيباً جداً، ولكن عندما علمت بأنه ممنوع، كانت لظى الشوق والفضول قد ملأ كل كيانى إلى أن اقتنصت الفرصة لمطالعته.».

بقدر ما يزداد الفضول اشتعالاً وتأججاً داخلنا، يزداد تعرضنا بشدة للتجربة. ليس من السهل على أى شاب أو شابة. ألا يلقى بالاً وينصرف عن التجربة وذلك فقط لأن الله أو والديهم يحذرانهم من الانصياع إلى أمرٍ معين!

ليس من السهل أن تقول لا لعمل علاقة جنسية بدون أن يكون لك قدر قليل لمعرفة كنهها.

هـل يمكنك غض بصرك عـن كتاب أو مجلة بعينهـا معروضة في محطة الأتوبيس أو المطار أو السـوبر ماركت بدون إلقاء نظرة بسيطة خاطفة؟

إن إبليـس يقدم اقتراحه في دهـاء قائلاً «ينبغي عليك على الأقل أن تستنير ثقافياً وأن تعرف ما يُعْرَضُ على العامة في هذه الآونة حالياً».

إن الرغبة في معرفة الخير والشـر استولت علـى فكر حواء بدرجة أكبـر. إن الله يريدنـا أن نكون فـي المكان الذى يجعلنـا نثق في قضائه ونحكم على الخير والشـر بحسب كلمته؛ ولسنا بحاجة أن نألف الشر حتى نختار الخير، لأن الألفة مع الشـر خطيرة جداً، حتى وإن كانت تحت مُسمى التنوير أو مجرد الفهم.

ويحذرنـا بولـس أن مثل هذه الأمـور «ذِكْرُهَا أَيْضًا قَبِيحٌ» (أفسـس ٥:١٢). ما لم نقرر التخلي عن فضولنا وإطاعة الله بكل قلوبنا، سنظل في البرية وسينخسـنا السؤال الدينى دائماً، وسوف تبقى التجربة في الميزان، حتى يكون لنا القرار الحاسم في اتباع أو مخالفة كلمة الله.

هناك مجال آخر يسـبب المشاكل وهو الحسد. ارجع إلى قصة قايين وهابيل. إن حسـد قايين لأخيه كان السـبب الذي جعل الرب يشـخص حالته، ويحذره، ويعطيـه وعداً: «فَقَالَ الرَّبُّ لِقَايِينَ: «لِمَاذَا اغْتَظْتَ؟ وَلِمَاذَا سَقَطَ وَجْهُكَ؟ إِنْ أَحْسَـنْتَ أَفَلاَ رَفْعٌ؟ وَإِنْ لَمْ تُحْسِنْ فَعِنْدَ الْبَابِ خَطِيَّةٌ رَابِضَةٌ، وَإِلَيْكَ اشْتِيَاقُهَا وَأَنْتَ تَسُودُ عَلَيْهَا» (تكوين ٤:٦، ٧).

إننـي متأكد بأن الله بعد ذلك صرف وعي قايين عن حضوره ومن ثم

لازمه السؤال الدينى: «تطلع إلى أخيك. لقد نال استحسان الله بدلاً منك. لماذا لا تتخلص منه، وسوف يضطر الله إلى الالتفات لذبائحك بدلاً من ذبائحه؟».

إن الحسد بذرة خطيرة. فعندما يجرَحُ كبرياؤنا. يتملكنا الحسد والغضب، وتبدأ بذرة القتل تنمو داخل قلوبنا. إننا جميعاً قد جربنا وخزات الحسد: مثل صديق لنا يحصل على ترقية كنا نأملها أو جار لنا اقتنى سيارة جديدة، أو صديق لنا يوليه أحد المدرسين اهتماماً أكثر منا. أو تفاخر والدنا بأخينا الصغير. إننا جميعاً نعرف الغضب وهو بذرة القتل داخل قلب كل إنسان حسب اعتقادى. إن قايين فضل عدم إطاعة الله، وقتل أخاه. ماذا سيكون اختيارنا عندما يجتاح الحسد وعينا؟ إن الله يعدنا بنفس الوعد الذى قدمه لقايين سابقاً: «في إمكانك أن تهزم الشر الذى قد يدمرك، وإذا كنت مطيعاً لى وفعلت كما يجب فسوف يرتفع وجهك».

كان يوسف شخصية أخرى في العهد القديم، وقد أعطاه الله وعداً لكن هاجمته مشاكل عديدة قبل أن يصل إلى أرض موعده (تك ٣٧ ـ ٥٠). بعد أن حلم يوسف أحلاماً وجد نفسه مكروهاً من قبل إخوته الحسودين. وبعد أن صار في مصر قابل العديد من المشاكل وكانت إحداها من خلال زوجة رئيس شُرط فرعون ولئن قاوم يوسف زوجة فوطيفار لنا أن نتأكد تماماً بأنه كان يقاوم الأسئلة الدينية التى كانت تجتاحه: «لماذا لا تفعل ذلك الأمر إنها هى التى تقترح عليك؟ لماذا تشغل بالك كثيراً بأنك تخطىء ضد الله؟ إن الله لم يعمل من أجلك شيئاً

بعد، لكن زوجة فوطيفار امرأة ذات نفوذ ومن الممكن أن تساعدك لكي تنال حريتك. وفوق هذا وذاك، يا يوسف، فهي امرأة جذابة ومتقبلة لذلك الأمر. ولا يوجد ما سوف تخسره؟».

ولكن يوسف قرر أن يطيع الله. لقد اجتاز في مواقف أخرى تدعو للمساومة لكنه كان دائماً يتخذ قراراً بإطاعة الله وفي نهاية القصة كلنا نعرف بأن وعد الله الأصلي قد تحقق ليوسف، وأصبح مسئولاً عن خزائن مصر، ولقد جاءت عائلته كلها وانحنت له.

في وسط الظروف الصعبة والمضللة والمُربكة، اجتاز يوسف المشكلة مستنداً على كلمة الله فقط. كانت هناك أمور في قلبه في حاجة إلى الاختبار. عندما تدخل في تجربة، لا تلقي باللائمة على الشيطان لأنه مسموح له أن يأتي بقدر احتياجك له. فلو أنك شردت بعيداً عن الله، فهذا بسبب شهواتك ورغباتك أنت.

تحضرني الذاكرة بأنني قد تعرضت لحادث عندما كنت في بداية خدمتي بالتعليم بإحدى كليات اللاهوت عندما أتى إليَّ رجل باقتراح مغرٍ، إذ قال: «إنني بحاجة إلى بعض المال لشراء خمس سيارات مستعملة ثم إعادة بيعها وسوف أعطيك إحدى هذه السيارات مجاناً إذا ما أبرمت معي اتفاقاً ممهوراً بإمضائك».

وفي الحال شعرت أن لديّ انطباعاً قوياً بأن الله لا يريدني أن أبرم هذا الإتفاق، لأنه يمكن أن يعطيني سيارة بطريقة أخري غير هذه الطريقة. لقد صرف الله وعيي عن حضوره، وبدت سيارتي القديمة أكثر قدماً.

واستولت على مدارك تفكيرى السيارة الجديدة والتى بدت جميلة طوال الوقت. وعندما ذهبت إلى زوجتى بالمنزل قلت لها: «يا چودى، كان ينبغى أن نوقع على هذا». فكان ردها القاطع: «لقد أرشدنى الرب ألا نوقع». ثم مثلت أمامى الأسئلة الدينية: «مَنْ هو رأس هذا البيت؟ مَنْ الذى يتخذ القرارات؟».

خضعت زوجتى ووقعنا علي الإتفاق. واأسفاه، لم أحصل على السيارة التى وُعِدْتُ بها، والأدهى من ذلك نقلونا إلى كلية لاهوت أخرى بعد بضعة أشهر كنت في زيارة صديق لى وسرت في طريقى للبنك المحلى لكيما أرحب به هناك، وصُدِمْتُ عندما قال لي: «إننى كنت أبحث عنك يا بوب».

أصدقك القول، لقد تهرب البائع من دفع باقى أقساط السيارة وكان اسمى موجوداً على أوراق السيارة، ولذا كان لزاماً علىَّ أن أتولى القيام بمسئوليتى المالية إزاء هذا الدين. لقد تشوهت سمعتى وشهادتى المسيحية، ولكن علمنى الله درساً! لقد كانت رغبتى القلبية هى الحصول على أمرٍ معين بدون أن أدفع مقابله شيئاً. إن الله كان يرتب لى سيارة جديدة لأنه قادر على ذلك. ولكن كان عليه أولاً أن يكشف ذلك الأمر الصغير المتوارى داخلى. أراد الله أن يظهره علناً حتى يتسنى أن أستودعه له هو.

قبل أن أصل إلى أرض موعدى، يضطر الله إلى أن يعرضنى للتجربة والتى هي بمثابة ميزان دقيق بين الله وإبليس وطبيعتى أنا.

لقد فشلت في الاختبار إزاء هذا الأمر لأن رغبتى الداخلية لامتلاك سيارة جديدة كانت أقوى من استعدادى لإطاعة تعليمات الله. وكانت النتيجة جولة أخرى حول الجبل وامتداد الإقامة في البرية!

هل ازداد الأمر إيضاحاً لك بأنه قبل أن نخطو واثقين داخل أرض موعدنا يجب أن يكون هناك إعداد لنا؟

وهل جود الله أصبح أكثر وضوحاً لك في مواجهة بعض الظروف؟

يا لها من قوة وما أحلاها طمأنينة يحق لنا نوالهما عندما تكون عيوننا مفتوحة على الامكانيات التى لنا أثناء تقدمنا للحصول على الوعود التى أعدها الله لنا !

الفصل الثامن

ما هى أرض الموعد ؟

عندما يتعمق أى شخص في قراءة الكتاب المقدس، سوف يكتشف حالاً أرض الموعد في الأصحاح الثامن من الرسالة إلى أهل رومية. لقد تناقشنا بالفعل حول بعض ملامح أرض موعدنا. إنها ليست في الأساس موقفاً جغرافياً كما ورد في سفر الخروج، ولكنها حقيقة مادية وروحية. إنهـا مكان راحتنا حيث نتوقف عن أعمالنا الذاتية ويحق لنا التمتع بما أعده الله لنا. إنها الأرض التى فيها سوف نسكن مدناً لم نقم ببنائها ونتمتع بثمار حقول لم نزرعها، ونشرب ماء من آبار لم نحفرها. إن ما أعده الله لنا في أرض الموعد يشمل أشياء مادية محسوسة، مثل التى نحن في حاجة إليها لمجابهة مطالب الحياة اليومية، وكل هذا يتحقق كنتيجة مباشرة لما أعده الله لنا من إمدادات روحية يحق لنا الحصول عليها. وعندما نمتلك الحقيقة الروحية لأرض الموعد، سوف يفيض علينا اللبن والعسل (بمعنى وفرة في كل ما نحتاج إليه).

إن الحقيقة الروحية لأرض موعدنا مشروحة في (رو ٨). وهنا تأكيد لنا كمؤمنين بأنه يمكننا أن نعيش حياة خالية من إحساس الذنب والدينونة، حياة كورثة حقيقيين مع المسيح. كل الأشياء تعمل معاً لخيرنا والله يمنحنا كل شىء مجاناً، لأننا به أعظم من منتصرين، ولا يوجد شىء يقدر أن يفصلنا عن محبة الله في المسيح يسوع. إن هذا

الفصل بأكمله يعطى لنا توضيحاً رائعاً لحياة المؤمن المنتصر والتى جعلها الله متاحة لنا.

ذات مرة أخبرنى صديق وقال: « إن معظم الناس يعرفون سفر رومية الأصحاح الثامن، أما أنا فأعيش هذا الأصحاح». هذه رغبة الله لنا.

قد نحفظ ذلك الأصحاح عن ظهر قلب، ولكن ذلك الحفظ لن يضمن لنا السكنى في الأرض التى تفيض لبناً وعسلاً. إذاً كيف يمكننا أن نصل إلى هناك؟

لنرجع مرة ثانية إلى قانوننا الذي يتضمن الأربعة المبادىء المنسجمة معاً.

لقد تعلمنا أن نبحث عن الوعد، والمبدأ، والمشكلة قبل تحقيق الوعد. إن هذا يظهر جلياً في رسالة بولس الرسول إلى أهل رومية. انظر إلى المخطط التوضيحى التالى حيث ترى أربعة فصول تقع متوافقة في توضيح مذهل، ولذا يجب أن تكون دراستها بالترتيب. وستكون الآيات الرئيسية هنا موضع تركيزنا بصفة خاصة.

الوعد	المبدأ	المشكلة	تحقيق الوعد
الأصحاح الخامس	الأصحاح السادس	الأصحاح السابع	الأصحاح الثامن

الوعد

فمادام الموت بمعصية (زلة، إثم) الإنسان الواحد، قد ملك بذلك الواحد، فكم بالأحرى يملك في الحياة بيسوع المسيح الواحد أولئك

الذيـن ينـالـونه (مميزاً إياهم بمكانة حقيقيـة معه) فيض النعمة (نعمة الله) (فضل لا يستحقونه) وعطية البر الجانيـة» (رومية ١٧:٥) (العهد الجديد التفسيرى).

وهنا نرى وعد الرب لنا وهو أننا سنكون كملوك في هذه الحياة. إن الوعد لنا الآن، وليس في وقت مستقبل عندما يعود المسيح ثانية. إننا نملك على الظروف التى نعيش فيها: في البيت، والعمل، والمدرسة، وفي كل مكان. إننا نملك وسط الأمور الشائكة والمتصارعة، والمربكة وعلى كل المشاكل.

المبدأ

لقد أشرنا سابقاً عن كيفية تحوُّل الوعد إلى حقيقة: إننا سنملك خلال الواحد، يسوع المسيح. إن الأصحاح السادس يوضح بالتفصيل السبب والكيفية في إتمام ذلك.

أولاً ـ السبب:

«لأَنَّهُ إِنْ كُنَّا قَدْ صِرْنَا مُتَّحِدِينَ مَعَه (المسيح) بِشِبْهِ مَوْتِهِ (متنا معه)، نَصِيرُ أَيْضًا بِقِيَامَتِهِ (نشاركه في حياة قيامته الجديدة). عَالِمِينَ هذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ (الرغبات الشريرة القديمة) قَدْ صُلِبَ مَعَهُ لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ، كَيْ لاَ نَعُودَ نُسْتَعْبَدُ أَيْضًا لِلْخَطِيَّةِ (لم يعد جسدكم المحب للخطية تحت سلطانها» (رومية ٦:٥، ٦).

إننا الآن بإمكاننا أن نصير ملوكاً بما فعله المسيح لأجلنا. فموته البديلى عنا حقيقة ماضية وراسخة. وبقبول ما فعله لأجلنا شخصياً،

نحــن فعلاً قد متنا بمعنى أن ذواتنا المُحبة للخطية لا تعود تتحكم فينا. إننا الآن لسنا في حاجة إلى أن نكون مستعبدين بعد للخطية لأن الرب يسوع قد أعطانا القدرة على الاختيار. فالأمر يقع إذن على عاتقنا نحن. والمبدأ يخبرنا كيف نستخدمه كما يلي:

«كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا احْسِبُوا أَنْفُسَكُمْ أَمْوَاتًا عَنِ الْخَطِيَّةِ، وَلكِنْ أَحْيَاءً للهِ بِالْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا. إِذًا لاَ تَمْلِكَنَّ الْخَطِيَّةُ فِي جَسَدِكُمُ الْمَائِتِ لِكَيْ تُطِيعُوهَا فِي شَهَوَاتِهِ، وَلاَ تُقَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ إِثْمٍ لِلْخَطِيَّةِ، بَلْ قَدِّمُوا ذَوَاتِكُمْ للهِ كَأَحْيَاءٍ مِنَ الأَمْوَاتِ وَأَعْضَاءَكُمْ آلاَتِ بِرّ للهِ (لكى يتم استخدامها لقصده الصالح)» (رومية ٦:١١ ـ ١٣).

لاحظ الأفعال التى تدل على الحركة: احسبوا؛ تُقَدِّموا؛ تُطيعوا؛ قدموا ذواتكم. «أَلَسْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ الَّذِي تُقَدِّمُونَ ذَوَاتِكُمْ لَهُ عَبِيدًا لِلطَّاعَةِ، أَنْتُمْ عَبِيدٌ لِلَّذِي تُطِيعُونَهُ: إِمَّا لِلْخَطِيَّةِ لِلْمَوْتِ أَوْ لِلطَّاعَةِ لِلْبِرِّ؟ فَشُكْراً للهِ، أَنَّكُمْ كُنْتُمْ عَبِيدًا لِلْخَطِيَّةِ، وَلكِنَّكُمْ أَطَعْتُمْ مِنَ الْقَلْبِ صُورَةَ التَّعْلِيمِ الَّتِي تَسَلَّمْتُمُوهَا. وَإِذْ أُعْتِقْتُمْ مِنَ الْخَطِيَّةِ صِرْتُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ. (إن مَنْ تقدمون له ذواتكم سوف يسود عليكم وتكونون أنتم عبيداً له)...... لأَنَّهُ كَمَا قَدَّمْتُمْ أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلنَّجَاسَةِ وَالإِثْمِ لِلإِثْمِ، هكَذَا الآنَ قَدِّمُوا أَعْضَاءَكُمْ عَبِيدًا لِلْبِرِّ لِلْقَدَاسَةِ» (رومية ٦:١٦ ـ ١٩).

كيف نصبح عبيداً لكل ما هو حق ومقدس؟. ما أسهل القول ولكن ما أصعب التنفيذ! إن معظمنا يحاول تنفيذ ذلك بمحاولة أن يكون

صالحاً ولكنه سرعان ما يكتشف عجز ذلك أيضاً. إن المبدأ ليس في محاولة الالتزام بالناموس. لقد أعطانا الله طريقة أخرى، والرسول بولس يريد أن يجعل ذلك واضحاً علي نحو جازم.

«وَأَمَّا الآنَ فَقَدْ تَحَرَّرْنَا مِنَ النَّامُوسِ، إِذْ مَاتَ الَّذِي كُنَّا مُمْسَكِينَ فِيهِ، حَتَّى نَعْبُدَ بِجِدَّةِ الرُّوحِ لاَ بِعِتْقِ الْحَرْفِ» (أى ليس بطريقة آلية بحفظ مجموعة قواعد، بل من كل القلب والفكر) (رومية ٧:٦).

يخبرنا الرسول بولس بأن الله قد قدم لنا نظاماً روحياً جديداً لنفعل مشيئته، ونعيش بحسب شريعته. لقد رأينا تفسير المبدأ. علينا أن نقاوم الرغبات الشريرة بكل عزيمة ونشاط، وبهذه المهمة ذاتها نقدم نفوسنا من كل القلب له، وعندئذ، سوف يتمم المسيح ناموسه من أجلنا.

لقد قال الرب يسوع: «لاَ تَظُنُّوا أَنِّي جِئْتُ لأَنْقُضَ النَّامُوسَ أَوِ الأَنْبِيَاءَ. مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ. فَإِنِّي الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِلَى أَنْ تَزُولَ السَّمَاءُ وَالأَرْضُ لاَ يَزُولُ حَرْفٌ وَاحِدٌ أَوْ نُقْطَةٌ وَاحِدَةٌ مِنَ النَّامُوسِ حَتَّى يَكُونَ الْكُلُّ. فَمَنْ نَقَضَ إِحْدَى هذِهِ الْوَصَايَا الصُّغْرَى وَعَلَّمَ النَّاسَ هكَذَا، يُدْعَى أَصْغَرَ فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ. وَأَمَّا مَنْ عَمِلَ وَعَلَّمَ، فَهذَا يُدْعَى عَظِيمًا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ» (متى ٥:١٧ ـ ١٩).

لقد أتى يسوع ليكمل الناموس ويجعله حقاً فينا. فعندما قال بولس إننا قد تحررنا من مطالب الناموس، لم يقصد قط أن الناموس لم يعد سارى المفعول، بل كان قصده هو أننا لسنا في حاجة بعد إلى

حفظ الناموس بقوتنا الذاتية، ذلك لأنه يمكننا الآن أن نضع أنفسنا بين يدى الله ونجعل المسيح يكمل الناموس في حياتنا. هذا هو نفس النوع من تحقيق الوعد الذى تحدث عنه موسى: مدناً لم نبنها..

هل يبدو ذلك مألوفاً بالنسبة لنا؟ فالمدن مازالت مبنية، والآبار محفورة، والوصايا محفوظة بقوة الله وليس بقوتنا الذاتية!

ويظل المبدأ كما هو: يجب علينا أن ندع الرب يعمل من أجلنا في الأمور التى لا يمكن أن نقوم بها من أنفسنا، ويتضمن هذا الالتزام بناموسه.

المشكلة

إن المشكلة تقبع بين المبدأ وبين التحقيق وذلك لكشف أية نزعة داخلنا لعمل مشيئتنا الذاتية، بدلاً من الالتزام بتعليمات الله. إن المشكلة التى يشرحها الرسول بولس، هى عامة لنا جميعاً، فهى تحدث عندما ندرك إرادة الله ونكتشف عجزنا عن القيام بها.

«إِذًا أَجِدُ النَّامُوسَ لِي حِينَمَا أُرِيدُ أَنْ أَفْعَلَ الْحُسْنَى أَنَّ الشَّرَّ حَاضِرٌ عِنْدِي. فَإِنِّي أُسَرُّ بِنَامُوسِ اللهِ بِحَسَبِ الإِنْسَانِ الْبَاطِنِ. وَلكِنِّي أَرَى نَامُوسًا آخَرَ فِي أَعْضَائِي يُحَارِبُ نَامُوسَ ذِهْنِي، وَيَسْبِينِي إِلَى نَامُوسِ الْخَطِيَّةِ الْكَائِنِ فِي أَعْضَائِي. وَيْحِي أَنَا الإِنْسَانُ الشَّقِيُّ! مَنْ يُنْقِذُنِي مِنْ جَسَدِ هذَا الْمَوْتِ؟» (رومية ٧:٢١ ـ ٢٤).

إننا نعرف مشيئة الله، ونريد أن ننفذها، ولكننا لا نستطيع. ماذا أظهرت المشكلة في بولس؟ كانت لديه نزعة تقتضى الالتزام بالناموس

بقوته الشخصية. لقد سبق وكان بولس فريسياً، وكان يعرف كل شيء عن استخدام قوة الإرادة للالتزام بالقواعد والتنظيمات. إنك أنت وأنا أُناس يتسمون بالعند، ونعتمد على أننا صالحون بقوتنا الشخصية، وهذا أكثر أمر خبيث في كل أنواع العصيان وهو الرغبة في أن نكسب خلاص أنفسنا بأنفسنا، متجاسرين بالقول: «انظر إليَّ؛ إننى ملتزم بالشريعة. إننى أحب الصلاح، ولا أدخن، ولا أسرق، ولا أرتكب خطية الزنا». إن الوقوع في فخ حفظ الناموس، يحرمنا تماماً من تكميل الناموس في أرض الموعد.

ولكشف ما يختفى في قلوبنا من «الفريسية أو حفظ القواعد»، يضعنا الله في مواقف حيث تفشل فيها مجهوداتنا فشلاً ذريعاً في أن نكون صالحين أو لطفاء أو محبين. لقد كنت دائماً أرغب في أن أكون أباً فاضلاً وزوجاً مُحِباً، ولكننى لم أعرف الطريقة التى تمكننى من ذلك. وعندما أردت يوماً أن أكون حليماً، وعفيفاً، وأميناً، وجدت ذلك مستحيلاً بقوتى الذاتية. وفي مرات أخرى أيضاً كنت أتوق أن عائلتى وجيرانى يرون مثال المسيح فيَّ، ولقد جاهدت للتغلب على كل فشل شخصى لَدَيَّ أعرف أنه لا يتلاءم مع شخص من المفترض فيه أن «يتقلد زمام الأمور في هذه الحياة».

لقد رأيت مؤمنين آخرين يجاهدون في معركة مماثلة. مازال هناك ملايين من الناس يجاهدون ويتغلغل داخلهم الحسد أو الكبرياء أو الإستياء أو اشتهاء ما ليس لهم أو نزعات أخرى شديدة الوطأة تجعلهم

مقيدين. أعرف رجلاً صالحاً لا يقدر على قمع عادة التدخين لديه. ونتيجة لذلك لم يحضر إلى الكنيسة لعدة سنوات بسبب خزيه وشعوره بالذنب.

ماذا باستطاعتنا فعله إزاء هذا المأزق؟ إننا نعرف بالطبع ما يريد الله منا أن نفعله ولكننا غير قادرين على تنفيذ ذلك. استمع لصرخة انتصار بولس «أَشْكُرُ اللهَ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا! (لأنه هو الذى فعل وهو الذى حررنى)» (رومية ٧:٢٥).

إن الطريقة الوحيدة لاجتياز المشكلة والوصول إلى تحقيق الوعد هو أن نترك المجال للرب يسوع المسيح في تتميم ذلك من أجلنا. وهذا هو المبدأ الذى اعتنقه بولس. عندما نجد أنفسنا في وسط المشكلة، يجب علينا أن نُطَبِق المبدأ الذى قد تعلمناه.

الخطوة الأولى : علينا أن نقر ونعترف بفشلنا.

الخطوة الثانية : قاوم الانجراف نحو تيار الرغبة الخاطئة.

الخطوة الثالثة: سلِّم نفسك بالكلية لله حتى تكون أداة طيِّعة في يديه وقل: «يارب، إننى أعترف بعدم مقدرتى في أن أطيعك بقوتى الذاتية. إننى أسلم لك بالتمام نفسى وأطلب منك أن تشدد من أزرى وأعيش بأمانة تامة لا يمنحها سوى الرب يسوع الذي يعيش فيَّ وأنا فيه».

ولا يمكن أن يتحقق ذلك إلا إذا سمحنا للرب يسوع أن يتمم مشيئة الله الصالحة فينا وبنا.

تحقيق الوعد

عندما يتم امتحان وتنقية معرفتنا وممارستنا للمبدأ من خلال المشكلة، نكون قادرين آنذاك على الدخول إلى أرض الموعد، وهى في هذه الحالة، الأصحاح الثامن من سفر رومية.

عندما دخل الجيل الثانى من الإسرائيليين إلى كنعان، وجدوا أن عليهم امتلاك كل قطعة من الأرض على حدة، بمعنى أن المبادىء والمشكلة يجب أن تسبق كل قسم منفرد من الأرض ليكون ملكاً لهم. وفي اختبارنا المسيحى الفردى، علينا أن نمتلك الأرض بنفس الطريقة. في الأعداد الأربعة الأولى من الأصحاح الثامن لسفر رومية، لدينا ثلاثة «أمور» من ميراثنا الموعود (راجع رو ٨:١ ـ ٤):

(١) يمكننا أن نعيش بلا دينونة.

(٢) يمكننا أن نتحرر من دائرة الخطية والموت الضارية.

(٣) بإمكاننا أن نطيع شرائع الله.

من الممكن أن تصير هذه البنود حقائق روحية إذا ما طبقنا المبدأ، وقاومنا طبيعتنا القديمة، وخضعنا لله، وجعلنا المسيح يعيش فينا ولنا.

إن المشكلة ستجابهنا بتجربة مخالفة لذلك، وسنواجه السؤال الدينى قائلاً: «ماذا تعنى بلا دينونة! أنت مذنب وهذا ما تعلمه جيداً، زد على ذلك أنك لست صالحاً، ولم تتحرر بعد من خطاياك، لذا فمن المؤكد

أنك لا تطيع شرائع الله! من الأفضل لك أن تحاول بقليل من الجهد أن تكون صالحاً».

إذا خارت قوانا واستسلمنا لمشاعر الذنب، ساعين إلى زيادة صلاتنا ودراستنا، محاولين إرضاء الله بجهادنا وقوتنا الشخصية، فحتماً سنطوف حول الجبل دورة أخرى.

ولكن بدلاً من أن نستسلم لإحساس الشعور بالذنب التى تجتاحنا، يمكن أن نمارس مبدأ الله ويجيب كل واحد فينا قائلاً: «إننى مذنب بكل تأكيد، ولكن المسيح بار، فحياته داخلى هى التى تعطينى الحق في أن أسترد مكانتى مع الله. إننى أريد تنفيذ مشيئة الله، ولن أستسلم لشكوكى ومشاعرى القديمة. إننى أثق في تغيير يسوع لى، وأنا لست تحت الدينونة. لقد أُعتِقْت من دائرة الخطية والموت الضارية، لذا أطيع الآن شريعة الله في المسيح، بغض النظر عن عدد مرات سقوطى أو مدى الشعور بالذنب». بهذه الإجابة، سوف نختبر حالاً حقيقة تحررنا من الذنب والدينونة.

هناك عشرون «قطعة» أخرى من الأرض (أمور) متضمنة في ميراثنا كما يقدمها الوحى في (رو ٨)، وسنتعرض لكل واحدة منها بنوع من الإيجاز حتى تكون لدينا فكرة ما عن إمدادات الله الرائعة لنا والتى يحق لنا نوالها.

(٤) يمكننا أن نفرح قلب الله:

«فَإِنَّ الَّذِينَ هُمْ حَسَبَ الْجَسَدِ فَبِمَا لِلْجَسَدِ يَهْتَمُّونَ، وَلكِنَّ الَّذِينَ حَسَبَ الرُّوحِ فَبِمَا لِلرُّوحِ» (رومية ٨:٥).

(شـرح خـاص للآيـة: «أولئك الذيـن يتركون أنفسـهم لسـيطرة طبيعتهم القديمة ـ السـفلية ـ يعيشـون فقط إرضـاء لذواتهم، أما الذين يتبعون الروح القدس، يجدون أنفسهم عاملين ما يرضي الله»).

منذ أن أصبحت مؤمناً، كان كل مبتغاي أن أرضي الله ولقد اكتشفت (وهذه هي الطريقـة الصعبة والتي كانت نتيجتها جولاتٍ عديدة حول المشـكلة) بأنـه لا يمكننـي أن أرضي الله مهما حاولت بـكل ما أوتيت من قوة. وهنا يقدم الله طريقة رائعة لنا، فإذا تبعنا تعليماته، سـنجد أنفسنا نقوم بأمور تُسِرُّ قلبه بلا أي مجهود على الإطلاق.

(٥) يمكننـا نوال الحياة وسـلام النفـس: «لأَنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ (بمعنى الإحساس والمنطق بدون الروح القدس) هُوَ مَوْتٌ، (الموت الذي يشكل كل أنواع البؤس الـذي تنتجه الخطية في هذا الزمـان والزمان الآتي). وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ (القدس) هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ (الآن وإلى الأبد)» (رومية ٨:٦).

كم نتوق كلنا للسلام! إن سلام النفس هو سلام يتغلغل في أرواحنا ليفيـض بغنى على كل كياننا: الذات، والعقـل، والعواطف. إن هذا هو السـلام الحقيقـي الذي يطرد كل إحبـاط أو توتر، أو قلـق، أو ضجر. إنه الهدوء في وسـط عالمنا الذي يموج بالاضطراب، وهو يعني أن نتمتع به في المسيح.

(٦) إننا تحت سُـلطة الروح القدس الساكن فينا: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَسْتُمْ فِي (سُـلطة) الْجَسَـدِ بَلْ فِي (سُـلطة) الرُّوحِ، إِنْ كَانَ رُوحُ اللهِ سَـاكِنًا فِيكُمْ. وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ (ساكناً فيه)، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ (ليس مسيحياً على الإطلاق)» (رومية ٨:٩).

إننـا نعرف من الاختبـار بأنه مـن الممكن أن نكون للمسـيح، وروح الله يسـكن فينا، ولكننا لسـنا تحت سُـلطة الروح القدس بعد، وهذه السُلطة لا تحدث في الحياة المسـيحية بصورة آلية ولكنها تسود على حياتنا عندما نتخلى عن عنادنا، ونقاوم سُـلطة الجسـد فينا ونسـلم أنفسنا بالكامل للمسيح. إن هذا لا يمكن أن يكون كما يتصوره البعض مـرة واحدة وإلى الأبد عن طريق قرار فريـد أو وحيد، ولكنه متكرر يومياً وبالأحرى في وسط خضم المشكلة.

(٧) الـروح يقـدر أن يحيى أجسـادنا المائتـة: «وَإِنْ كَانَ رُوحُ الَّذِي أَقَامَ يَسُـوعَ مِنَ الأَمْوَاتِ سَـاكِنًا فِيكُـمْ، فَالَّذِي أَقَامَ الْمَسِـيحَ مِـنَ الأَمْوَاتِ سَيُحْيِي أَجْسَادَكُمُ الْمَائِتَةَ أَيْضًا بِرُوحِهِ السَّاكِنِ فِيكُمْ» (رومية ٨:١١).

إن هـذا ليـس فقط وعـداً بالحيـاة بعد المـوت، ولكن بالأحـرى وعد «بالإحياء» الجسـدى لأمراضنا وضعفنا. إنه يقول بأن أجسـادنا الفانية الضعيفـة من الممكن أن يحييها الرب ويعطيهـا حياة جديدة، وتدفقاً جديداً للصحة والطاقة الآن.

(٨) يمكننا أن نميت الأعمال الشـريرة لجسـدنا «لأَنَّهُ إِنْ عِشْـتُمْ حَسَبَ الْجَسَـدِ فَسَـتَمُوتُونَ، وَلكِـنْ إِنْ كُنْتُمْ بِالـرُّوحِ (القدس) تُمِيتُـونَ (تطفئون وتهدمون) أَعْمَالَ الْجَسَدِ فَسَتَحْيَوْنَ (بحق وصدق إلى الأبد)» رومية ٨:١٣).

هل تدرك كيف يحدث ذلك؟

يمكننا تفعيل هذا المبدأ عندما نتعود على أن نُميت (أى نقاوم وننكر) العادات القديمة، ونحوِّل أنفسنا بالكامل للمسيح.

(٩) يمكننا أن ننقاد بروح الله: «لأَنَّ كُلَّ الَّذِينَ يَنْقَادُونَ بِرُوحِ اللهِ، فَأُولئِكَ هُمْ أَبْنَاءُ اللهِ» (رومية ٨:١٤).

(١٠) من الممكن أن ننال روح البنوة: «إِذْ لَمْ تَأْخُذُوا رُوحَ الْعُبُودِيَّةِ أَيْضًا لِلْخَوْفِ، بَلْ أَخَذْتُمْ رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ (في منتهى السعادة): يَا أَبَا الآبُ» (رومية ٨:١٥).

(١١) الروح نفسه يخبرنا أننا أولاده: «اَلرُّوحُ نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلاَدُ اللهِ» (رو ٨:١٦). هنا تأكيد مقدم لنا ولكن يمكنك أن تتخيل المشكلة والأسئلة الدينية قادمة في محل الاختبار!

(١٢) من الممكن أن نكون شركاء ميراث مع المسيح: «فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيْضًا، وَرَثَةُ اللهِ وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ. إِنْ كُنَّا نَتَأَلَّمُ مَعَهُ لِكَيْ نَتَمَجَّدَ أَيْضًا مَعَهُ» (رومية ٨:١٧).

(١٣) حرية مجيدة من الخطية: «إِذْ أُخْضِعَتِ الْخَلِيقَةُ لِلْبُطْلِ لَيْسَ طَوْعًا، بَلْ مِنْ أَجْلِ الَّذِي أَخْضَعَهَا عَلَى الرَّجَاءِ. لأَنَّ الْخَلِيقَةَ نَفْسَهَا أَيْضًا سَتُعْتَقُ مِنْ عُبُودِيَّةِ الْفَسَادِ إِلَى حُرِّيَّةِ مَجْدِ أَوْلاَدِ اللهِ» (رومية ٨:٢٠، ٢١).

يتحدث الرسول بولس هنا عن الحرية الكاملة من الخطية التى سنتمتع بها في المستقبل، بعد القيامة، ولكنه يتحدث هنا أيضاً عن حرية أولاد الله الحقيقية من الخطية التى يتمتعون بها في الوقت الحاضر.

(١٤) افتداء أجسادنا : «وَلَيْسَ هكَذَا فَقَطْ (يقصد الخليقة)، بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ، نَحْنُ أَنْفُسُنَا أَيْضًا نَئِنُّ فِي أَنْفُسِنَا، مُتَوَقِّعِينَ

التَّبَنِّي فِدَاءَ أَجْسَادِنَا (أجسادنا لن تمرض بعد ذلك ولن تموت أبداً)» (رومية ٨:٢٣).

إن تحقيق الوعدين الأخيرين هما فقط اللذان لن نستطيع اختبارهما كلية إلا عند مجيء المسيح ثانية. ومع ذلك، هناك تحقيق لهذا الوعد إلى حد ما. ففي وقتنا الحاضر يمكن لأجسادنا المائتة أن تختبر حياة أعظم مما يعرفها معظمنا اليوم.

(١٥) إن الروح ممكن أن يكون مصدر عون لنا في مشكلاتنا اليومية وفي صلواتنا: «وَكَذلِكَ الرُّوحُ أَيْضًا يُعِينُ ضَعَفَاتِنَا، لأَنَّنَا لَسْنَا نَعْلَمُ مَا نُصَلِّي لأَجْلِهِ كَمَا يَنْبَغِي. وَلكِنَّ الرُّوحَ نَفْسَهُ يَشْفَعُ فِينَا بِأَنَّاتٍ لاَ يُنْطَقُ بِهَا» (رومية ٨:٢٦).

(١٦) إننا نعرف أن كل الأشياء تعمل معاً لخيرنا: «وَنَحْنُ نَعْلَمُ أَنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تَعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، الَّذِينَ هُمْ مَدْعُوُّونَ حَسَبَ قَصْدِهِ» (رومية ٨:٢٨).

إن كثيرين من المسيحيين يقتبسون هذه الآية، ولكنهم غير مدركين بأن مشكلاتهم هي جزء من خطة الله لخيرهم. إن قصد الله هو أن يأتي بنا من الوعد إلى تحقيق الوعد. إن المشكلة لا تحدث فجأة لتعوق مقاصد الله ولكنها جزء محتوم لخطته. إن كل ما يحدث لنا المقصود به أن يعمل لخيرنا، بما في ذلك أيضاً الأمور التى نعتبرها سيئة. إن هذا يتولد نتيجة لطبيعتنا العتيقة، ولمنطقنا، وفهمنا بدون إنارة الروح القدس؛ وعلينا إذاً أن نقاوم عمداً مثل هذه النوعيات القديمة من الفكر، ونعترف

أنهـا خطية، طالبين من الله أن يبعدها عنـا، ويضع مكانها القدرة بأن ننظـر إلى كل الأشـياء معاً كجزء من خطته الصالحة لنا، ونسـتطيع ذلك في المسيح.

(١٧) من الممكن أن نصير مشابهين لصورة المسيح: «لأَنَّ الَّذِينَ سَبَقَ فَعَرَفَهُمْ سَبَقَ فَعَيَّنَهُمْ لِيَكُونُوا مُشَابِهِينَ صُورَةَ ابْنِهِ، لِيَكُونَ هُوَ بِكْرًا بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رومية ٨: ٢٩).

أنت وأنا لا نسـتطيع أن نعيش حياة مشـابهة لحياة المسـيح بمجرد التشـبه به. ولكن يمكننا فقط أن نكون مشـابهين له بقدر حياته هو فينا.

(١٨) إننـا نعـرف أن الله دائماً معنا: «فَمَاذَا نَقُولُ لِهذَا؟ إِنْ كَانَ اللهُ مَعَنَا، فَمَنْ عَلَيْنَا» (رومية ٨: ٣١).

هل شعرت في يوم من الأيام بأنك وحيد أمام العالم أجمع؟

لقد واجه موسـى أمة إسـرائيل بأسـرها والذيـن أرادوا أن يرجموه بالحجارة ويرجعوا إلى قدور اللحم في مصر، ولكن الله كان مع موسى، وهو دائماً الواحد الذى يشكل الأغلبية!

لقد صنع تحقيق الوعد لكى يكون دائماً لنا، ولكن في وسط المشكلة قد لا يبدو الأمر بهذه الطريقة!

(١٩) إن الله سيهبنا كل الأشياء مجاناً: «اَلَّذِي لَمْ يُشْفِقْ عَلَى ابْنِهِ، بَلْ بَذَلَهُ لأَجْلِنَا أَجْمَعِينَ، كَيْفَ لاَ يَهَبُنَا أَيْضًا مَعَهُ كُلَّ شَيْءٍ؟» (رومية ٨: ٣٢).

(٢٠) إن المسيح سيشفع فينا: «مَنْ هُوَ الَّذِي يَدِينُ؟ اَلْمَسِيحُ هُوَ الَّذِي مَاتَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ قَامَ أَيْضًا، الَّذِي هُوَ أَيْضًا عَنْ يَمِينِ اللهِ، الَّذِي أَيْضًا يَشْفَعُ فِينَا» (رومية ٨:٣٤).

إن المسيح يشفع فينا ولكن لا يمكننا أن ننال هذه الفوائد جمعاء لتحقيق الوعد، ما لم نسلم أنفسنا بالكامل له. وإذا كنا نستمر في عنادنا وفي اكتفائنا الذاتى، فلن ننال ما أعده المسيح من أجلنا.

(٢١) لا يوجد أمر من الأمور يقدر أن يفصلنا عن محبة المسيح لنا: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟ أَشِدَّةٌ أَمْ ضِيْقٌ أَمِ اضْطِهَادٌ أَمْ جُوعٌ أَمْ عُرْيٌ أَمْ خَطَرٌ أَمْ سَيْفٌ؟ كَمَا هُوَ مَكْتُوبٌ: «إِنَّنَا مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلذَّبْحِ» (رومية ٨:٣٥، ٣٦).

تبدو قائمة الظروف هذه مثل شرح وافٍ لأية برية يمكن أن نقابلها. ثم يأتى السؤال الدينى في وسط التجربة مقترحاً باستمرار أن ذلك برهان على أن الله قد تركنا أو أنه لا يحبنا. ولكن على العكس من ذلك تماماً، فمن خلال الظروف العصيبة جداً وحدها يمكننا أن نتعلم الاستناد على حضور الله الدائم ومحبته التى لا تنتهى.

(٢٢) إننا أعظم من منتصرين: «وَلكِنَّنَا فِي هذِهِ جَمِيعِهَا يَعْظُمُ انْتِصَارُنَا بِالَّذِي أَحَبَّنَا» (رومية ٨:٣٧).

إن الانتصار دائماً لنا بالمسيح، لأنه لا توجد أية طريقة أخرى للحصول عليه غير هذه الطريقة.

(٢٣) لا شيء يفصلنا عن محبة الله: «فَإِنِّي مُتَيَقِّنٌ أَنَّهُ لاَ مَوْتَ وَلاَ

حَيَاةَ، وَلاَ مَلاَئِكَةَ وَلاَ رُؤَسَاءَ وَلاَ قُوَّاتِ، وَلاَ أُمُورَ حَاضِرَةً وَلاَ مُسْتَقْبَلَةً، وَلاَ عُلْوَ وَلاَ عُمْقَ، وَلاَ خَلِيقَةَ أُخْرَى، تَقْدِرُ أَنْ تَفْصِلَنَا عَنْ مَحَبَّةِ اللهِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ رَبِّنَا» (رومية ٨:٣٧، ٣٩).

هذه هى أرض موعدنا، والتى يجب أن نعيش هناك، ليس فقط في منطقة واحدة منها، وليس لمجرد الزيارة أثناء شعورنا بالروحانية، ولكن أن نستقر هناك دائماً. كثيرون من المؤمنين يتشاركون مع بولس في مشكلته حسبما وردت في الأصحاح السابع من رسالته إلى أهل رومية. إنهم يعرفون ما يريد الله منهم أن يفعلوه ولكنهم يتخبطون وسط أجواء المشكلة، غير قادرين على طاعته.

إن الخروج من هذا المأزق يتطلب منا أن نترك محاولاتنا المستميتة جانباً التى نعتمد فيها على قوتنا الذاتية، ونسمح للرب يسوع أن يفعل ذلك نيابة عنا. عندما نتعلم تطبيق ذلك المبدأ على كل مشكلاتنا، فإننا سوف نصبح مقيمين دائمين في أرض الموعد!

الفصل التاسع

المسيح في التجربة

يخبرنا الكتاب المقدس أن يسوع المسيح جُربَ في كل ناحية مثلنا تماماً ولا يجب الاعتقاد أن تجربته تختلف عن تجربتنا نحن.

لقد حصل يسوع المسيح على الوعد، وتعلَّم المبدأ، ثم سحب الله عن ابنه الوعى بحضوره، وتعرض يسوع لكل قوات الجحيم. كل الأسئلة الدينية التى كان الشيطان قادراً على أن يقدمها قد ألقى بها على ربنا ومخلِّصنا يسوع المسيح. إن تجربة يسوع لا يمكن أن تكون حقيقية إلا إذا كان يمكنه الفشل. وأى شيئاً ناقصاً سيكون مناقضاً لمبادىء الله. إن الإسرائيليين الذين كانوا مختارين من قِبَل الرب للدخول إلى أرض الموعد، لكنهم فشلوا في تحقيق الوعد بالكامل وربما تظن أن المسيح، ابن الله الوحيد كان من الممكن أن يفشل هو أيضاً! إن البشائر تخبرنا بتجربة يسوع في البرية، وإنه لأمر شيق أن نلحظ الترتيب التاريخى للأحداث. إن التجربة قد حدثت فوراً بعدما اعتمد يسوع في نهر الأردن، وبعدما أعلن الروح القدس عنه أيضاً، وقبل الدخول في خدمته باعتباره المسيا.

إن الفشل في المشكلة لم يكن ليغيِّر حقيقة كونه ابن الله الممتلىء بالروح القدس، ولكنه كان سوف يؤثر عكسياً على دوره كالمسيا، وهذا هو تحقيق الوعد بالنسبة له ولنا.

كثيرون من المسيحيين يقولون «لو كنت ممتلئاً فقط من الروح القدس، لما كانت ستعتريني أية مشكلة بعد ذلك».

ألقِ نظرة أخرى على حياة يسوع! إن الله يريد لكل واحد فينا أن يكون مفرغاً من الذات ومملوءاً من روحه القدوس. ولكنك عندما تصلي لكيما تمتلىء بالروح القدس، لا تتوقع أن تتلاشى كل مشاكلك تماماً، ولكن على العكس توقع مشكلات جديدة، وهذا هو الجزء الضروري في كل هذه الأمور. إن الملء بالروح القدس يعتبر شيئاً كامناً أو هو الوعد نفسه، لذا ينبغي أن يتم اختباره قبل أن نصل بأمان إلى إتمام الوعد الذي ينتظرنا.

إن نفس المبدأ يعتبر صحيحاً عند بناء سفينة فضاء، فقبل أن تقلع للفضاء الخارجي، يتم اختبارها تحت طاقة هائلة جبارة للتأكد من أن كل الأنظمة تعمل بكفاءة. فإذا ظهرت أية عيوب أثناء الاختبار، فإن مكان العيب أو الخلل يتم إصلاحه أو استبداله. عندما يملأنا الله بروحه القدوس، فإننا نوضع في الاختبار للتأكد من أن أنظمتنا تعمل بكفاءة، ثم نصبح مستعدين في أن نستهل مهمتنا المجهزة لنا.

يخبرنا لوقا أن يسوع أتى إلى نهر الأردن حيث كان يوحنا يعظ ويعمد، وقد طلب يسوع أن يعتمد منه، وكلنا نعرف أن يوحنا لم يعتقد بأن هذا كان لائقاً: «وَلكِنْ يُوحَنَّا مَنَعَهُ قَائِلاً: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ، وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ!» فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «اسْمَحِ الآنَ، لأَنَّهُ هكَذَا يَلِيقُ بِنَا أَنْ نُكَمِّلَ كُلَّ بِرّ». حِينَئِذٍ سَمَحَ لَهُ» (متى ٣:١٤، ١٥).

إن المعلقين على ذلك الأمر يقترحون أنه في تقديم نفسه للمعمودية، قد أتم يسوع كل بر. وعندما سمح بأن يُقاد في البرية لكي يُجَرَّبْ، كان ذلك لامتحان بره.

لقد عرف يسوع بأنه قد أتى لكي يكمل شريعة الله وكتابات الأنبياء. لقد كان يعرف تمام المعرفة كل كلمة من الله مكتوبة في الكتب المقدسة. ولقد كانت هذه مبادؤه أي الاستعداد لإطاعة ما قاله الله.

توجد لمحات قليلة فقط في الكتب المقدسة عن طفولة يسوع وشبابه، ولكنها كافية للتأكيد على أنه كان مدركاً تماماً وفوق العادة للمكتوب (لو ٢: ٤٠، ٤٦، ٤٧).

نقرأ في (لوقا ٣: ٢١، ٢٢) أن يسوع اعتمد من يوحنا «وَلَمَّا اعْتَمَدَ جَمِيعُ الشَّعْبِ اعْتَمَدَ يَسُوعُ أَيْضًا. وَإِذْ كَانَ يُصَلِّي انْفَتَحَتِ السَّمَاءُ، وَنَزَلَ عَلَيْهِ الرُّوحُ الْقُدُسُ بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ. وَكَانَ صَوْتٌ مِنَ السَّمَاءِ قَائِلاً: «أَنْتَ ابْنِي الْحَبِيبُ، بِكَ سُرِرْتُ».

هناك اتفاق بين كل اللاهوتيين بأن هذا العماد المزدوج من الماء والروح القدس شكَّل إعداد يسوع للخدمة المسيانية، ولكن الإعداد لم يكن كاملاً، فبدلاً من أن يبدأ في الحال حياته المرسلية نجد أنه:

«أَمَّا يَسُوعُ فَرَجَعَ مِنَ الأُرْدُنِّ مُمْتَلِئًا مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ، وَكَانَ يُقْتَادُ بِالرُّوحِ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنْ إِبْلِيسَ....» (لوقا ٤: ١، ٢).

إن المؤمن الذي يختبر الملء أو العماد بالروح القدس قد يخبره رفقاؤه

من المؤمنين بحســن نيّة ولكن بقيادة خاطئة بأنه الآن مستعد للقيام «بعمــل عظيم لله». إنه غير مســتعد تماماً لما هــو قادم بعد ذلك، مثل جولــة إلى البرية ومواجهــة مع العدو! ففى المشــاكل وما يتبعها من تخبط، نجد أن كثيرين من المؤمنين قد يئســوا، ثم استنتجوا أن الاختبار كله مع الروح القدس كان مجرد خيال ذاتى وبداية المشاكل.

لقد كان يســوع في البرية بمفرده مع إبليس لمدة أربعين يوماً وأربعين ليلة بدون أن يتذوق طعامــاً، ويقول الكتاب المقدس إنه كان جائعاً. كان الهجوم الأول للشــيطان في الدائرة الجســدية، إذ اتجهت نحو آلام يسوع جوع حقيقى، وبإحســاسه بالتعب والإعياء. ولذلك تقدم إبليس بسؤاله الدينى: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ، فَقُلْ لِهذَا الْحَجَرِ أَنْ يَصِيرَ خُبْزًا» (لوقا ٤:٣).

كان يســوع يعــرف أنه ابن الله وأن له تمام القــدرة على تحويل الحجر إلــى خبز. أضف إلى ذلك أنه كان جائعاً للغايــة؛ وكان من الممكن تبرير المعجزة بســهولة، ولكن الخطــورة هنا كانت أكثر مــن الجوع. لقد كان إبليس يقترح بأن يسوع يستخدم قوته لسد حاجته، ويقتضى اقتراحه ضمناً بأن حاجته العظمى كانت للطعام.

هنــاك فاصل رقيق بين الأنانية والحــب الصحيح للذات والذي أخبرنا عنه يسوع بقوله: «تُحِبُّ قَرِيبَكَ كَنَفْسِكَ» (مر ١٢:٣١).

إن يسوع كان له السلطان في أن يطلب بركات للآخرين كما لنفسه، ولكنه أتى لكيما يقدم نفسه باعتباره خبز الحياة لأولئك الجائعين لما هو أكثر من الشبع الجسدى.

إن التجربة تأتي إلى كل مؤمن لكيما يستخدم سلطانه في طلب البركات من منطلق باعث أناني. ويقترح إبليس أن ذلك مبرر ومنطقي. (إنك بحاجة إلى منزل أكبر أو وظيفة أفضل أو نقود أكثر، وسوف يتمجد الله عندما يزدهر حالك، لذا تقدم واطلب من الله تحويل هذه الحجارة إلى خبز!).

أجاب يسوع إبليس: «مَكْتُوبٌ: لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ» (مت ٤:٤). لقد اختار يسوع أن يظل جائعاً ولكنه طائع كلمة الله عن أن يسد حاجته الجسدية ويغضب الله. لقد اقتبس رواية الكتاب المقدس من الإسرائيليين في البرية، حيث تم اختبارهم بشكل مماثل لكنهم فشلوا.

استمع لما قاله موسى للشعب إذ كان يذكرهم بصلاح الله وبرغباته لهم «وَتَتَذَكَّرُ كُلَّ الطَّرِيقِ الَّتِي فِيهَا سَارَ بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ هذِهِ الأَرْبَعِينَ سَنَةً فِي الْقَفْرِ، لِكَيْ يُذِلَّكَ وَيُجَرِّبَكَ لِيَعْرِفَ مَا فِي قَلْبِكَ: أَتَحْفَظُ وَصَايَاهُ أَمْ لاَ؟ فَأَذَلَّكَ وَأَجَاعَكَ وَأَطْعَمَكَ الْمَنَّ الَّذِي لَمْ تَكُنْ تَعْرِفُهُ وَلاَ عَرَفَهُ آبَاؤُكَ، لِكَيْ يُعَلِّمَكَ أَنَّهُ لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ، بَلْ بِكُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ فَمِ الرَّبِّ يَحْيَا الإِنْسَانُ» (تثنية ٨:٢، ٣).

لقد سقط الإسرائيليون في التجربة والتمسوا الخبز، وكنتيجة لذلك أصبحوا غير قادرين على أن يدخلوا أرض موعدهم. أما الرب يسوع فقد انتصر في البرية، ونال الوعد!

إن التجربة الثانية قد سجلها لنا الوحي كما يلي:

«ثُمَّ أَصْعَدَهُ إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْمَسْكُونَةِ فِي لَحْظَةٍ مِنَ الزَّمَانِ. وَقَالَ لَهُ إِبْلِيسُ: «لَكَ أُعْطِي هذَا السُّلْطَانَ كُلَّهُ وَمَجْدَهُنَّ، لأَنَّهُ إِلَيَّ قَدْ دُفِعَ، وَأَنَا أُعْطِيهِ لِمَنْ أُرِيدُ. فَإِنْ سَجَدْتَ أَمَامِي يَكُونُ لَكَ الْجَمِيعُ» (لوقا ٤: ٥ ـ ٧).

إن الاختبار النهائى لقلب الإنسان يتعلق بمَنْ وماذا يعبد. إن إبليس كان يعرف مَنْ هو يسوع، وكان يعرف أيضاً دوره المحدد باعتباره المسيا المنتظر والحاكم المطلق للكون كله. ولكنه عرف أيضاً أن يسوع كان مطلوباً منه الذهاب في طريق الصليب، طريق المعاناة، والرفض، والموت. والآن قدم له حلاً وسطاً، حلاً سهلاً للهروب!

إنني مقتنع بأن مواجهة يسوع لهذه التجربة لم تكن بالأمر الهين. لقد كان بمفرده في البرية، متعباً. في هذه المرحلة ظهر أمامه إبليس بكل سلطانه، وجماله، ونوره، مثلما تم وصفه «شِبْهِ مَلاَكِ نُورٍ» (٢كو ١١: ١٤)، وهكذا كان شكله جميلاً ومغرياً.

أعرف رجلاً وصل في تعهده المسيحي إلى نقطة الأزمة، فذهب بعيداً طلباً للصوم والصلاة. وبعد ثلاثة أيام أحس بحضور الله معه يملأ جميع جنبات غرفة الفندق بطريقة مجيدة. لقد كان الرجل راكعاً على ركبتيه في الصلاة عندما حدث هذا. لقد غمرته خشية الله لدرجة أنه أحنى رأسه على السجادة، واستمر على هذا الوضع، ولكن بعد مدة قصيرة انصرف عنه الإحساس بحضور الله. استمر منحنياً ووجهه إلى أسفل، وعيناه مغمضتين تماماً. وفجأة «رأى» رجلاً واقفاً قبالته، وكان أجمل شخص رأتهما عيناه من قبل، وكان محاطاً بهالة

من النور، تمتلكه رغبة شديدة في عبادة هذا الشخص ذى المنظر الرائع الذى امتلك على كيانه، واستطاع أن يسمع صوتاً قوياً يقول له: «إذا سجدت لى سأعطيك خدمة شفاء قوية، وكل العالم سيعرفك!».

لقد كان الدافع لإطاعة هذا الاقتراح عظيماً للغاية حتى أنه وصل إلى منتهاه. أخيراً، في أعمق أعماق نفسه تشكلت كلمة وهي يسوع. لقد حاول جاهداً أن يجعل شفتيه تتفوه بهذه الكلمة وأخيراً نطق بصوتٍ عالٍ هذا الاسم، وفي اللحظة التى خرجت فيها الكلمة من شفتيه، اختفى مرأى هذا الشكل الجميل تحت جفونه المغمضة. لا يمكن أن ننظر إلى التجربة لعبادة إله هذا الدهر بخفة (٢كو ٤:٤).

إن تجربة المساومة بإظهار الإجلال للعالم وذلك بغية الوصول إلى غاية مرغوب فيها يعتبر حيلة ماكرة ينبغى على كلٍ منا مواجهتها.

لقد قال لنا يسوع «لاَ يَقْدِرُ أَحَدٌ أَنْ يَخْدِمَ سَيِّدَيْنِ....» (متى ٦:٢٤). إن المساومة ليست ممكنة في مجال العبادة. التعبد لله يعنى الإعلان أن الله هو المستحق وحده. أما العبادة لمخلوق أو شىء آخر لكى تصل لغاية هو جوهر رفض حقوق عرش الله.

لقد كان رد يسوع على التجربة الثانية: «مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ» (لوقا ٤:٨).

وللمرة الثانية أشار إلى المكتوب عن الإسرائيليين في البرية. لقد تعلموا نفس المبدأ من جبل سيناء: «أَنَا الرَّبُّ إِلهُكَ الَّذِي أَخْرَجَكَ مِنْ أَرْضِ مِصْرَ مِنْ بَيْتِ الْعُبُودِيَّةِ. لاَ يَكُنْ لَكَ آلِهَةٌ أُخْرَى أَمَامِي» (خروج

٢:٢٠، ٣). وعندما تعرض الإسرائيليون للتجربة وكانوا غير شاعرين بوجود الله معهم، لم يطيعوا الأمر وعبدوا صورة العجل الذهبي.

إن التجربة التى فشلوا فيها وجعلتهم لا يستطيعون الدخول إلى أرض موعدهم، فاز فيها يسوع بإطاعته لكلمة الله.

أخيراً، حاول الشيطان للمرة الثالثة مستخدماً اقتباساً من المكتوب (مزمور ٩١:١١) وطرح سؤالاً دينياً: «ثُمَّ جَاءَ بِهِ إِلَى أُورُشَلِيمَ، وَأَقَامَهُ عَلَى جَنَاحِ الْهَيْكَلِ وَقَالَ لَهُ: «إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ مِنْ هُنَا إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ، وَأَنَّهُمْ عَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ لِكَيْ لاَ تَصْدِمَ بِحَجَرٍ رِجْلَكَ». فَأَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهُ: «إِنَّهُ قِيلَ: لاَ تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ» (لوقا ٤:٩ ـ ١٢).

إننا نلاحظ أن إبليس انتزع اقتباسه من سياق الحديث. وربما يكون ذلك أخطر شكل للتجربة بالنسبة للمؤمن المخلص أى الاقتراح بأن هناك سلطاناً كتابياً للفعل المقترح. لقد اقترح إبليس على يسوع بأن يفعل أمراً مذهلاً لإظهار قوته الفائقة للطبيعة. كانت المعجزات جزءاً لا يتجزأ من خدمته. ولكيما يبدأ إرساليته الدينية بطريقة مثيرة، عليه أن يلقى بنفسه أسفل جناح الهيكل وستحمله الملائكة لئلا تصدم بحجر رجليه.

ماذا كان الخطأ في هذا الاقتراح؟

أليس حقيقياً بأن الله قد وعد بأن تحفظ الملائكة يسوع؟

أو ليس بإلقاء نفسه إلى أسفل سيظهر مجد وقوة الله لشعب أورشليم؟

أولاً: لتفكر ملياً في العمل المقترح: أن يلقى بنفسه من على حافة سطح الهيكل إلى أسفل لقد كان أمراً مذهلاً بحق، وغير طبيعى، وعلى غير المعتاد، وغير ضرورى بالمرة. إن الله نادراً ما يعمل بطرقٍ مظهرية، وغير عادية، ولا يعمل أبداً بطرق غير عادية أو غير ضرورية. عندما أطعم يسوع الخمسة الآلاف نفس، لم يفعل ذلك بطريقة مظهرية أو غير طبيعية، فقد كان بإمكانه تحويل الحجارة التى على سفح الجبل إلى خبز ولكنه بدلاً من ذلك، أخذ الخبز والسمك بهدوء، وبارك الله، ثم تقدم وقسمه على الجائعين.

إن العملية كلها بدت طبيعية للغاية وبسيطة لدرجة أن الذين شاهدوا ذلك ما كادوا يصدقون أن معجزة كانت تحدث. إن أولئك الذين شاهدوا أو اختبروا الشفاء الجسدى غالباً ما يشعرون بالذهول بمدى بساطة العملية كلها وكم هى عادية. هناك اختباران يؤكدان صحة هذا. أولهما امرأة مقعدة قد عانت لسنوات عديدة بسبب التهاب المفاصل، والأخرى وُلدت بعين عمياء والأخرى بها قصور شديد.

قالت الأولى: «لقد طلبت من الله في صلاتى أن يشفينى، وعرفت أنه لعظم محبته سيتمم ذلك. وفي إحدى الأيام كنت جالسة في البيت بمفردى في فترة ما بعد الظهيرة متهللة بمحبته وعنايته لى. فجأة مددت يداىَّ في بساطة فوجدتهما قد شُفيتا تماماً، واختفت كل

الآلام وقبل أن تصدق عيناى ذلك، استرخت أصابعى وشعرت كما لو أننى لم أصب بأى مرض من قبل.

إن كل ما حدث كان بطريقة طبيعية جداً لدرجة أننى وجدت نفسى أفكر بأنه لم تكن هناك سنوات من المرض والمعاناة على الإطلاق. لقد كنت متوقعة بأن الله سوف يشفينى بطريقة مظهرية أكثر».

وقالت الثانية:

«لقد كنت أريد أن أخدم الله كمدرسة مسيحية وعرفت أنه يمكننى أن أخدمه أفضل عندما أكون «مبصرة» أفضل من أن أكون إنسانة عمياء. أخيراً، استجمعت شجاعتى لكى أطلب من الله أن يشفينى. خلدت إلى نومى تلك الليلة بعد أن صليت ووضعت نظارتى بجانب السرير. وفي الصباح التالى ظننت أن بريق الشمس بدأ أكثر ضياء، وأن الشجرة خارج نافذتى بدت أكثر إخضراراً عما كانت عليه من قبل. قمت بارتداء نظارتى كما كنت متعودة دائماً في الصباح؛ ولدهشتى بدا كل شىء معتماً! فخلعت نظارتى مرة ثانية فصار كل شىء واضحاً تماماً!

ببساطة يمكننى أن أشهد بأن الله قد شفانى أثناء نومى. إن أكثر شىء طبيعى قد اختبرته من قبل هو أننى قد شُفيت».

إننا نعجب عادة بالمظهرية، ولذلك فإن العنف والدراما يشغلان درجة مركزية في العالم الدنيوى. كما ينجذب المؤمنون نحو المظاهر في إعلانات قوة الله العجيبة. هذه هى الطريقة التى تجذب المخلصين الأمناء

بطـريقـــة أو بأخـرى، زاعـمـين بنـاءً عـلـى نـصـوص كـتـابيـة مـفـردة وكـأنـه طـريق الله لـفـعـلهـم، فـهـم يـبـحـثـون عـمـا هـو غـريـب وغـيـر عـادى والمـدعـو مـعـجـزات ويـعـتـبـرونـهـا كـعـلامـات لـلـروحـانـيـة.

جـاءتـنـى امرأة اخـتـبـرت حـديـثـاً مـقـابلـة مـع الـروح الـقـدس وكـانـت فـي أشـد الاهـتـمـام لـربمـا تـكـون قـد عـصـت الله فـي حـادثـة مـعـيـنـة. لـقـد كـانـت فـي إحـدى الجـنازات وتـغـلـب عـلـيـهـا آنـذاك إلحـاحٌ بأن تـقـفـز أثـنـاء الخـدمـة وتأمر الجـسـد المـوجـود داخـل الـتـابـوت بأن يـرجـع إلـى الحـيـاة مـرة ثـانـيـة. لـكـنـهـا قـاومـت، والآن صـارت مـعـذبـة لـشـعـورهـا بـالـذنـب.

لـقـد سـألـتـنـى: «هـل كـنـت غـيـر مـطـيـعـة لله فـي ذلـك الأمـر؟ لـقـد أقـام يـسـوع المـوتـى ويـقـول لـنـا الـكـتـاب المـقـدس بأنـنـا يمـكـن أن نـعـمـل مـثـل الأعـمـال الـتـى عـمـلـهـا».

نـعـم، إن الله قـادر عـلـى أن يـقـيـم المـوتـى حـتـى الـيـوم، ولـكـنـه لـن يـسـتـخـدم المـؤمـن لإتمـام مـثـل هـذه المـعـجـزة بـغـيـر اسـتـعـداد قـوى. إن الجـزء الأسـاسـى لـلاسـتـعـداد هـو الإلمـام بـكـل الـكـتـاب المـقـدس. إنـنـا بـحـاجـة لمـعـرفـة الـنـصـر الـسـاحـق لـبـرنـامـج الله هـنـا عـلـى الأرض. إنـه لـن يـطـلـب مـنـا شـيـئـاً لا يـتـفـق مـع شـخـصـه بـعـيـداً عـن مـطـلـق الاتـكـال عـلـيـه. إن هـذه المـؤمـنـة الجـديـدة لـم تـألـف بـعـد مـع الـكـتـاب المـقـدس، لـذا كـانـت هـدفـاً رئـيـسـيـاً لـلـتـجـربـة بأن: «تـطـرح نـفـسـهـا مـن سـطـح الـهـيـكـل».

لـقـد قـرأت مـعـهـا مـا سـجـلـه الـوحـى عـن تجـربـة يـسـوع وإجـابـتـه وبـالـتـالـى فـهـمـت ألاعـيـب المجُـرِّبْ.

دعني أقدم عدة نقاط تساعد في فحص عما إذا كان هناك دافع يبدو أنه «روحاني» وهل هو من الله أو من الشيطان أو من رغباتنا الشخصية:

(١) هل يتفق مع برنامج الله الكلي كما يعلنه لنا الكتاب المقدس؟ وهل يعكس شخص الله في محبته وعدالته؟

(٢) هل ذلك الأمر مظهري أو غير معتاد أو غير طبيعي؟

إذا كان كذلك، فاحذر لأن الله عادةً ما يعمل بطرق بسيطة وطبيعية معقولة.

(٣) هل أعدك الله لهذا الأمر؟

إن الله لا يتعامل مع أي أمر عفو اللحظة: إن كلمته ومقاصده أبدية ولا يعتريها تغيير ولا ظل دوران. عندما يريد منك الله القيام بأمر ما، فإنه حتماً سيعدك لهذا الأمر عبر فترةٍ من الزمن من خلال الكتاب المقدس والظروف والانطباعات. وعندما يحين وقت العمل، ستدرك قيادة الله لك في هذا الأمر.

(٤) هل هذا الأمر ضروري؟ هذا السؤال قد يبدو غير مجدٍ، ولكن التجربة للانخراط في أنشطة غير ضرورية «من أجل الرب» تعتبر أمراً عادياً ومألوفاً بالنسبة لكثيرين من المؤمنين!

وعندما نرجع إلى يسوع والشيطان على حافة سطح الهيكل، نسمع الرد على ثالث تجربة: «مَكْتُوبٌ ... لاَ تُجَرِّب الرَّبَّ إِلهَكَ».

مرة ثانية، ندرك المكتوب عن الإسرائيليين في البرية. لقد تم تحذيرهم بـألا يجربوا الرب إلههـم (ليمتحنوه) ولقد أخفق الإسـرائيليون أيضاً، وطلبـوا علامـة أعظم مـا كان الله مرتباً لهم. لقد أغاظـوا الله، ولذا فقدوا أرض موعدهم.

لقد جرب يسوع في المجالات ذاتها مثل الإسرائيليين، وحيثما فشلوا، انتصر هو، إذ فعل في كل تجاربه ما قد أمروا به أن يفعلوه. لقد اسـتند على كلمة الله المجردة.

عندمـا يجربنـا إبليس، علينـا أن نتصرف بنفس هـذه الطريقة. إن الطريقـة الناجعة الوحيـدة لاجتياز التجربة هـو الاعتماد الكلى على الله وعلى كلمته. لا يمكننى أن أشـير عليك بنصيحة أخرى لمساعدتك غير هذه النصيحة وهى أن كلمة الله فيها الكفاية، ولهذا فمن المهم في المقام الأول أن نفحص ونتيقن مما قاله لنا الله.

لا توجد مأساة أكثر من الاعتماد على كلمة واحدة من الله وإبعادها عن سياقها وتحويرها بواسطة أعظم مخادع. بعدما ترك إبليس يسوع فــي البرية، أرسـل الله ملائكته لكيما يعتنوا بـه. عندما أتت الملائكة لكى تخدمه، عاد الشـعور باهتمام الله ومحبته ووجوده: «وَرَجَعَ يَسُوعُ بِقُوَّةِ الرُّوحِ إِلَى الْجَلِيلِ» (لوقا ٤:١٤).

قارن بين هذه الآية وبما قيل قبل اختبار البرية (أى بين لوقا ٤:١ ، ولوقا ٤:١٤). بعد الاختبار في البرية، صار يسوع مملوءاً بقوة الروح القدس. والآن يحق له الدخول إلى أرض موعده وهى الخدمة التى أعدها الله له.

لقد كان يسوع في الجانب المنتصر من المشكلة وحق له أن يعلن للعالم أجمع بأنه قد جاء ليتمم وعود الكتاب المقدس. وإليك جزء من أقواله: «رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنْكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ وَلِلْعُمْيِ بِالْبَصَرِ، وَأُرْسِلَ الْمُنْسَحِقِينَ فِي الْحُرِّيَّةِ، وَأَكْرِزَ بِسَنَةِ الرَّبِّ الْمَقْبُولَةِ..... فَابْتَدَأَ يَقُولُ لَهُمْ: «إِنَّهُ الْيَوْمَ قَدْ تَمَّ هذَا الْمَكْتُوبُ فِي مَسَامِعِكُمْ» (لوقا ٤:١٨، ١٩، ٢١).

إن لدينا سبباً لكى نتطلع إلى الكنيسة اليوم ونسأل: أين هى القوة التى وعد الله بها المؤمنين؟ أين هى القوة لسد حاجة المضطهدين، والمرضى، والعمى، ومسحوقى الفؤاد؟ إن القوة كوعد تختلف عنها في الأداء. إن المبدأ والمشكلة يتوسطان الوعد وتحقيق القوة؛ والانتصار في المشكلة يحول الوعد إلى قوة.

إذا كانت الكنيسة اليوم ينقصها القوة، فذلك ليس بسبب أن الله قد امتنع عن وعده أو سحبه، ولكن لأنه يوجد مسيحيون قلائل جداً قد اجتازوا التجربة بنجاح.

هناك تشتيت للقوة الموعود بها للكنيسة بسبب الجولات المتكررة حول الجبل.

لقد قاوم يسوع التجارب في البرية، ولأنه فعل ذلك أصبح يحق لنا أن نفعل تماماً مثلما فعل هو. نحن، أيضاً يمكننا أن نستند على مبدأ كلمة الله المجردة ونكون مستعدين لنوال ملء قوة الروح القدس. هذه القدرة قد وعدنا الله بها كمؤمنين، ليس بقوتنا ولكن بقوته هو!

الفصل العاشر

خمس حيات نارية

تســاعـد التجربة في البرية على كشـف ما في قلوبنا حقاً. إن هذا ضــروري قبل أن يكــون لنـا حـق الدخول في علاقـة أمينة ومرضية مع الله. ونصـل إلى مرحلة النضج التى بها ندخل إلى ما أعده الله لنا في أرض الموعد.

لقد علَّم يسوع تلاميذه أن يصلوا قائلين: «وَلاَ تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ، لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ» (متى ٦:١٣).

لقد تسـاءل بعض اللاهوتيين عمــا إذا كان الكتاب المقدس يختص بهـذه الآيــة أم لا، وهم في ذلـك يميلون إلى الرأى الــذى يقول بأن الله لا يُدخل أى إنســان في تجربة، وعندما نطلب منه ألا يدخلنا في تجربة فإن هذا يتضمن صراحةً بأنه ربما يفعل ذلك.

إن الله يدخلنــا بالفعـل فــي تجربة لكى يكتشــف ما فــي قلوبنا، وسيكون صحيحاً بأن نفسر هذه الآية بهذه الطريقة: يا إلهى العزيز لا تجعل أمراً في قلبي يجعلك تضعنى في تجربة.

أينما تسكن الخطية أو تَعُم الفوضى، يجد إبليس له باباً مفتوحاً.

ثمة ثلاثة مناطق رئيســية فـي البرية يجــب أن يُجَرَّب فيها كل منا ولكن بدرجات مختلفة وهى:

(١) عمل علاقات جنسية خارج إطار الزواج (الفسق).

(٢) الطمع (محبة المال).

(٣) الكبرياء (مشكلات الأنا).

هيا بنا الآن نفحص قلوب ثلاثة رجال:

داود
(الجنس)

لقد كان هناك أمر يسـير في قلب داود جعـل الله يدخله في تجربة رؤية بثشبع المرأة الجميلة التي كانت تستحم في علية بيتها. استسلم داود للتجربة، لذا عانى من جولة مؤلمة في اجتيازه للمشكلة.

لم يهلك داود في المشـكلة، لأنه أدرك خطيته، وأقر بها، وتاب عنها، فغفر الله له خطيته. ولكن ضرراً بالغاً قد حدث، وهو أن زوج بثشبع قد مات مقتولاً، وأول مولود لبثشبع حق عليه الموت.

يهـوذا
(محبة المال)

إن محبـة يهوذا للمـال كانت أمراً كامناً في داخلـه. ولا يوجد ثمة أدنى شـر في المال ذاته، وذلك عكس ما يغلب علينا الاعتقاد. كان الرب يسوع يعرف خبايا قلب يهوذا، لذا تعمد أن يعرضه للتجربة بتسليمه كيس النقود.

شــاول

(الكبرياء)

إن مشكلة شاول كانت تكمن في الكبرياء، فلقد أقام لنفسه نصباً بعدما انتصر في إحدى المعارك، ولكنه لم يطع أمر الرب بالقضاء على كل أعدائه وماشيتهم (صموئيل الأول ١٥). لقد واجه صموئيل النبي شاول الملك بخطيئته ولكنه رفض أن يقر بعدم إطاعته حتى أعلن صموئيل له قضاء الله برفضه من المُلك نتيجة لرفضه لكلام الله. ولكنه توسل إلى صموئيل قائلاً: «قَدْ أَخْطَأْتُ. وَالآنَ فَأَكْرِمْنِي أَمَامَ شُيُوخِ شَعْبِي وَأَمَامَ إِسْرَائِيلَ، وَارْجعْ مَعِي فَأَسْجُدَ لِلرَّبِّ إِلهِكَ» (١صم ١٥:٣٠).

كان شاول مهتماً بسمعته أكثر من اهتمامه بعلاقته بالله. من الممكن أن يكون كبرياؤنا سبباً في هلاكنا في البرية.

عندما ينكشف ضعفنا (أو خطيتنا)، فإما أن نقر بها ونتوب عنها فيطهرنا الله ويغفر لنا كما كان الحال مع داود، أو أننا نتشبث بمركزنا المرموق وسط أقراننا ونفشل في المشكلة. إن الشيطان دائماً سيأتي ليقترح.: «ماذا تظن أنهم قائلون عندما يعرفون؟ من الأفضل لك ألا تعترف بضعفك».

أحدهم كان مواظباً على هذه السلسلة من الدورات التعليمية، فجاء إليَّ قائلاً: «لقد كنت أحارب هذا الأمر منذ أول محاضرة لك. إن لديَّ مشكلة ولكن ينتابني الخوف مما ستقوله عني عندما تسمع ما كنت أعاني منه».

فانتظرت وكنت ألاحظ على وجهه هذا الرجل تعذيباً واضحاً. حقاً كان مسيحياً رائعاً ورجل أعمال ناجحاً. أخيراً انفك لسانه مواصلاً الحديث: «كما ترى أن الأفكار الشهوانية تتملكني بشدة ولا أستطيع الفكاك منها». بمجرد أن نطق هذه الكلمات، بدت عليه الراحة بدرجة كبيرة.

فقلت له: «يا أخي، كما ترى أنني أراك طبيعياً جداً. إن الله قد سمح لك بأن تصارع في مشكلتك هذه لكي يكشف لك ما في قلبك. وبما أنك الآن قد اعترفت بخطيتك، اطلب من الله أن يسامحك عليها ويطهر قلبك، وأن يحل المسيح في ذلك الجانب من حياتك».

فإذا ما انكشفت المشكلة وتطهرت منها، فإنه بإمكانك مواجهة أي تجربة بكل سهولة. تُزيد من الأنا لديك، حينئذ ويمكنك القول: «شكراً يا أبي، إنني لست في حاجة إلى مثل هذه الأشياء بعد الآن، لأنني أعتمد عليك!».

إن الله لديه ما أسميه لجنة الطرق والوسائل في البرية ومهمتها خصيصاً هي إظهار ضعفاتنا.

خمسة حيات نارية تقدمت لتجربة الإسرائيليين في البرية واقتادتهم إلى الهلاك هناك وقد ذكرها الرسول بولس كما يلي: «وَهذِهِ الأُمُورُ حَدَثَتْ مِثَالاً لَنَا، حَتَّى لاَ نَكُونَ نَحْنُ مُشْتَهِينَ شُرُورًا كَمَا اشْتَهَى أُولئِكَ» (١كو ١٠:٦).

لقد تاق الإسرائيليون إلى اللحم رغم إطعامهم يومياً بما احتاجوا إليه بالمن من السماء. لقد كانت الشكوى واقع حالهم إلى أن غَضَبَ

الله. ولكى يعلمهم الله درساً أرسل إليهم ما يكفيهم من اللحم حتى عافته أنفسهم.

إن الرغبة أو التوق الشديد لأى شىء غير الله يعنى صراحة رفضه هو شخصياً. ولكيما يعلمنا الله، يمكنه أن يرسل لنا ما نتوق إليه بفيض غامر. لا يوجد علاج ناجع أكثر من أن نسأم مما نشتهيه! فإذا لم يكن هناك علاج لرغباتنا غير المألوفة لأى شىء غير الله ومقاصده لنا ـ روحياً، وجسدياً، وجغرافياً ـ سنعيش حياة التردد والاستياء المتواصل.

قد تكون رغبتك هذه موجهة صوب وظيفة معيّنة. صديقٌ لى شعر بنداء الرب له للتفرغ للخدمة، ولكن كل ما كان يبتغيه في الحياة هو أن يكون مالكاً لمحطة بنزين. لقد كانت تجتاحه الرغبة بشدة لدرجة أنه لم يستطيع أن يتخلى عنها. إن العلاج بالنسبة له كان يتمثل في جرعة مفرطة من إدارة محطة خدمة للسيارات.

من الممكن أن يكون اهتمامك منصباً على بقعة جغرافية معينة. من المحتمل أنك تعيش في... وهذا هو بالفعل قصد الله لك، ولكنك من الداخل متعلق بتوق شديد متواصل للعيش في مكان آخر. قد يسمح الله لك بالانتقال إلى هناك نزولاً لما تغذيه في قلبك، وتكون النتيجة عدم مقدرتك على اختبار اتمام وعد الله ومقاصده لك في مكانك الأول.

قد تكون رغبتك لشىء أو مكان أو لشخص. إن الله سيجعل الفرصة سانحة لك لإشباع تلك الرغبة، فبالتعرض لها في هذه الفرصة إما أنك

(١) سوف تستسلم للرغبة وتعاني في جولاتٍ متواصلة داخل المشكلة؛ أو (٢) تعترف بها، وتقاومها وتختار بأن تقدم كل ولائك التام لما يريده الله لك، حينئذٍ تصبح مستعداً لنوال إتمام الوعد المخصص لك.

الحية الأولى

عبادة الأوثان

«تَكُونُوا عَبَدَةَ أَوْثَانٍ كَمَا كَانَ أُنَاسٌ مِنْهُمْ....» (١كو ١٠:٧).

إن الوثنية هى وصول الشهوة والرغبة إلى أوج نضجها. ولهذا فهى تعتبر ذات تهديد أكثر خطورة من الحية النارية الأولى. ويقول لنا الكتاب المقدس: «فَتُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ وَمِنْ كُلِّ قُوَّتِكَ» (تثنية ٦:٥).

لقد كان الله يعرف الضعف الموجود في قلب الإسرائيليين فسمح لهم للتعرض للتجربة. لقد أمرهم الله بأن يحبوه ويعبدوه هو وحده وألا يصنعوا لأنفسهم تماثيل مسبوكة. ثم صرف الله حضوره عن شعورهم الواعى من خلال موسى الذى كان يقود شعبه ويتحدث بلسانهم ـ عندما صعد على الجبل. وفي الحال تكشَّف الضعف الذى كان في أعماق قلوبهم على السطح بقوة تامة وناشدوا هارون أن يصنع لهم تمثالاً مسبوكاً من الذهب على هيئة عجل. ولماذا عجل بالذات؟ إن الله يمنع صنع الصور ـ سواء بالفكر أو في مادة المعدن ـ لأن الصورة تحرمنا من الله موضوع حبنا الرئيسى.

إن العجل المسبوك كان يمثل صورة إحدى آلهة مصر وهو العجل أوزيريس. لقد احتفظ العبيد السابقون بحلم مصر في قلوبهم. وحينما كانوا يجابهون تجربة معينة في البرية. كان الدافع الأول لديهم هو الرجوع إلى قدور اللحم التى تركوها وراءهم. عندما غاب عنهم موسى، أرادوا أن يرجعوا إلى مصر مرة ثانية. ولكنهم كانوا في حاجة إلى العجل كعلامة للمصريين بأنهم قد حولوا ولاءهم من الرب غير المرئى ووضعوه في الإله أوزوريس. وهذا سيحفظهم سالمين من ذبح الجيش المصرى لهم.

إن الوثنية دائماً ما تتضمن الولاء لشىء آخر غير الله. وغالباً ما تنشأ من رغبة القبول من جماعة أخرى أو شخص آخر. تبدأ بمنتهى البساطة عندما يجد أحد المؤمنين نفسه في صحبة جماعة أخرى جديدة من الناس قد أُعجب بهم سراً. قد لا تفكر هذه الجماعة كثيراً في المسيحية. فتلازمه التجربة لإخفاء هويته. ثم فيما بعد تلازمه التجربة لتضطلع بعلامات الولاء لطريقهم في الحياة (من حيث الملبس. الحديث. السلوك). ومهما كان الشىء الذى يفعلونه وذلك لكيما يكون مقبولاً كفرد في الجماعة. وهذا ينطبق على الشباب والبالغين على حدٍ سواء!

فإذا كانت هناك رغبة خفية في قلبك للإرتباط بأمرٍ ما بعيداً عن الله. فستأتى التجربة في صورة فرصة لكيما تتوحد مع هذا الأمر الذى يشكل وثناً بالنسبة لك..

إن الله يسمح لنا بأن تُعطى لنا فرص للتجربة وذلك لأن استمرارنا في توزيع إخلاصنا يؤدى بنا إلى الإحباط سواء لنا أو لله أيضاً.

قال الرب يســوع: «لَيْسَ أَحَدٌ يَضَعُ يَدَهُ عَلَــى الْمِحْرَاثِ وَيَنْظُرُ إِلَى الْوَرَاءِ (إلى الأشياء التى في الخلف) يَصْلُحُ لِمَلَكُوتِ اللهِ» (لوقا ٩:٦٢) .

إن مَنْ يسـلم نفسـه لله ويصبح عاملاً في كرمـه، ثم يتطلع إلى الأمور الماضية، يجد نفسـه لا يصلح للملكوت وبناءً عليه يخسر إتمام الوعد الروحى له والأفراح التي قد وعد الله بها.

إذا دعاك وأنت في وسـط أعمالك ومصالحك إلى الخدمة، فلا تنظر إلى الوراء. وإذا انتشـلك من الوثنية فلا تنظر إلى الوراء. إن الله لا يرضى المساومة في تكريس قلبك بالتمام والكمال له. إن الله يطلب منا الولاء التام له؛ .إلا سوف نبقى بوعود فارغة!

الحية الثانية

الزنـا

«وَلاَ نَزْنِ كَمَا زَنَى أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَسَـقَطَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ ثَلاَثَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا(موتى)» (١ كو ١٠:٨).

إن كلمة زنا تشـمل كل أنواع الخطايا الجنسـية، والانحراف، وكل ما لا يحل شرعاً.

لقـد تجاهـل الإسـرائيليون أمر الـرب وارتكبوا خطايا جنسـية مع سـيدات موآب، وشـاركوهم أيضاً في عبادتهم الوثنية، فحمى غضب الله وضرب منهم ثلاثة وعشرين ألفاً.

إن الله ليـس ضد الجنس ولكنه ضد الإباحية وللأسـف، فإن كثيرين

من المسـيحيين قد صاروا يؤمنون بأن الجنس أمر غير روحانى وجسدانى، يجب احتماله للتناسل. وهذا أبعد ما يكون عن الحقيقة. فلو أن الله لا يزكى الجنس، لكان قد أوجد طريقة أخرى لاستمرار الجنس البشرى. إننا في حاجة إلى أن نذكر أنفسنا بأن الله خلق آدم وحواء ككائنات جنسية قبل أن تدخل الخطية إلى المشهد.

لقد كان قصد الله من العلاقة الجنسية هى أن تكون شكلاً من التواصل الحميم بين الرجل وزوجته لكيما يتمتع بها الطرفان.

إن المتعة والعلاقة الجنسية الكاملة هى جزء من أرض الموعد التى يريد منا الله أن نحيا فيها. وسنكون قادرين على اختبار إتمام ذلك الوعد في حالة إذا ما تعلمنا المبدأ وخرجنا سالمين من التجربة.

إن الكتاب المقدس يحصر كل الممارسات الجنسية في نطاق العلاقة الزوجية، بلا شىء قبله أو معه. وهذا جزء من المبدأ. إن هذا ليس معناه حرماننا من الفرحة ولكن لإرشادنا صوب اكتمال الفرحة التى يمكن أن نختبرها فقط في إطار الزواج. إن الحرية الجنسية الصحيحة يمكن الاستمتاع بها فقط بالطاعة لتصميم الله؛ وهذا هو التحرر الجنسى بالمعنى الحقيقى للكلمة ولكن الجنس غير المشروع أو الجنس خارج إطار الزواج غير مسموح به لأن الله يعرف بأن ارتكاب مثل هذا الفعل يجلب المعاناة واليأس.

ذات مرة طُلب منى مشورة لرجل وزوجته كانا في مشاكل زوجية عميقة. فعلى مدار فترة طويلة من الزمن، كان الراعى مستغرقاً تماماً

في أمور عمله لدرجة أنه ترك زوجته تتجرع آلام الوحدة. لقد شعرت هذه الزوجة بأنها كم مهمل وغير محبوبة بالمرة على الصعيدين الجسدى والعاطفى. وفي قسوة هذه الوحدة ووحشتها كانت ضربة الحية النارية بالفجور الجنسى. استجابت للتجربة وكانت النتيجة انهيار الرابطة المقدسة لزوجين مسيحيين وسبعة أطفال.

هل فضلت بأن تختار الاتكال على أمر الرب؟

لو كانت اختارت التمسك بوصية الله لاستمر الباب مفتوحاً لها بالدخول إلى إتمام أرض الموعد في زواجها. ولكنها بدلاً من ذلك، وفي حرارة التجربة قررت هى ورفيقها أن رغبتهما كانت عظيمة بدرجة تكفى للتضحية بكل الاعتبارات الأخرى ومن ثم فقدا نصيبهما الشخصى في إتمام وعد الله.

الحية الثالثة

تجربة الله

«وَلاَ نُجَرِّبِ الْمَسِيحَ (اختبار صبره هو تجربة منه. والمفروض هو تقدير صلاحه وشكره عليه) كَمَا جَرَّبَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُمُ الْحَيَّاتُ» (١كو ١٠: ٩).

لقد تذمر الإسرائيليون في البرية قائلين إنهم قد كرهوا «المن السخيف» الذى قدمه الله لهم. وكنتيجة لذلك، أطلق الرب عليهم الحيات السامة، فلدغتهم فمات كثيرون منهم.

إننا نمتحن صبر الله عندما نطلب أكثر من كفاية إمداد الله لنا.

وإننا نجربه عندما نطلب علامة بينما قد جعل واضحاً ما هو مطلوب منا أن نفعله. وإننا نجربه بطريقة غير لائقة عندما نطلب منه بأن يثبت قوته في الوقت الذى فيه قد أظهر لنا بالفعل ما يكفى لثبات إيماننا.

عندما كنت طالباً بكلية اللاهوت، جودى وأنا وابنتنا الرضيعة عشنا جميعاً في مقطورة صغيرة * . وكان تدعيمنا الشهرى عبارة عن شيك قيمته ثمانون دولاراً، بالإضافة إلى بعض الهبات والعطايا من بعض الناس المثقلين. كان إمداد الله لنا هو بالضبط ما كنا بحاجة إليه دائماً ولقد شعرت بأننى مطمئن جداً لمحبته واهتمامه بنا. ويوماً ما لم تعد تصل إلينا أية عطايا وكذلك لم تصل حوالتي المالية في الوقت المحدد. وفي غضون أيام قلائل فرغ منا الطعام تقريباً، وكل ما كان يشغلنى في الموضوع هما زوجتى وطفلتى. جلست على العشاء وكنت على وشك الشكوى لله. أردت أن أقول: «ما هو الموضوع بالضبط يارب؟ ألا يمكنك العناية بى بينما أدرس هنا لكيما أصير خادماً لإنجيلك؟».

ولكن بدلاً من أن أقول ذلك توجهت بكلامى مخاطباً جودى: «إننى لا أفهم السبب في أن الرب علي ما يبدو قد خيب آمالنا».

ولشدة دهشتى فقد ضحكت قائلة: «إننى أعرف السبب في ذلك

---

* القطيرة Trailer هى عربة مقطورة على شكل بيت متحرك قائم على عجلتين أو أربع قد تستخدم للسكن المؤقت في بعض البلدان الأجنبيه لأولئك الأشخاص التى حالتهم المادية بسيطة. (المترجم).

تمام المعرفة. عليك أن ترجع بذاكرتك الأسبوع الماضى لتتذكر أننا كنا نتباحث سوياً في مَنْ هو الذى يسدد احتياجاتنا؟ هل هى الحكومة بما تقدمه لنا من حوالة مصرفية لسبب عملك في الخدمة، أم أولئك الناس اللطفاء بما يقدمونه من عطايا، أم أن الرب هو الذي يسدد احتياجاتنا؟ أنا لم أكن مقتنعة بهذا أو بذاك، لذا سألت الرب إذا ما كان هو الذى يسدد احتياجاتنا فليعطنى لو تكرم علامة بوقف ما يدعمنا».

فالتفتُ محدقاً في زوجتى، وقلت في نفسى لقد كانت تجرب الرب، وكانت النتيجة هى أننى كنت أتناول بليلة بدون سكر وهذا ما كنت أمقته بشدة! فسألتها: «حسناً، هل أنت مقتنعة الآن؟».

فأومأت برأسها بالإيجاب وقالت: «بكل تأكيد، وسأصلى للرب أن يطلق التدعيم الذى كان يحجزه عنا، وحسبما يتراءى لى إننا في حاجة إلى حوالى خمسين دولاراً لإعادة ملء أوانينا بما نحتاجه من سلع».

ذهبنا في تلك الليلة إلى أحد الاجتماعات وعندما رجعنا وجدنا صندوقين من البقالة ومظروفاً به ورقة نقدية من فئة العشرين دولاراً. إن جملة ما كان موجوداً من الطعام كان ثمنه تقريباً ثلاثين دولاراً، وكان تماماً ما كنا نخطط لشرائه.

لقد قبلت جودى إتمام وعود الرب لها بكل يقين قائلة: «شكراً يارب». هل جربنا الرب؟ نعم جربناه لأنه قد وعد بأن يسدد احتياجاتنا وأكد على ذلك بصدق الدليل في الماضى بأنه كان قادراً على سد احتياجاتنا. أن نجربه معناه التعبير عن الشك.

إن الله يعرف ما في قلوبنا. فإذا كانت رغبتنا في أن نثق فيه حقيقة،

ومع ذلك نحتاج إلى قليل من التأكيد، فإنه سيستجيب بالعلامة التى نطلبها منه، ولكن النتيجة ستكون جولة أخرى أى فترة ممتدة داخل المشكلة. إن الله يريد أن يأتى بنا إلى الموضع الذى فيه نثق به بدون براهين واضحة. أو أى اثباتات إضافية.

إن جدعون هو مثال لذلك، ففى قضاة ٦ يقدم لنا تفسيراً لطلب إثبات من الله بأنه سيكون معه ومع رجاله عندما صعدوا للمعركة. لقد أظهر الله بالفعل حضوره بملاك قد تمم المعجزة بإشعال نار لجدعون بعصاه. يمكننا أن نفهم أن اهتمامه كان منصباً كثيراً على المخاطرة.

لقد طلب الله منه أن يقود جيشاً صغيراً من الرجال أمام عدو قوى، وقد وعد الله أنهم سيكسبون المعركة ولكن أراد جدعون أن يكون لديه تأكيد مضاعف بأنه يتعامل مع الله وليس مع شىء مختلق من خياله.

وبرغم كل شىء، فلو لم يكن الرب موجوداً في المشهد، لكان جدعون ورجاله في الواقع موتى.

لقد امتحن جدعون الله مرتين بأن طلب أن يضع تلك الليلة جزة صوفٍ في البيدر، فإن ابتلت الجزة وحدها بالندى، وبقيت الأرض كلها جافة، يدرك أن الله ينقذ إسرائيل على يديه كما وعده، ومرة أخرى طلب اختباراً آخر على هذه الجزة؛ أن تبقى وحدها جافة، أما بقية الأرض فيبللها الندى. لقد كان يعرف جدعون بأنه في خطر من احتدام غضب الله بسبب طلبه هذه العلامات.

كان الله يعرف أن جدعون مستعد بأن يكون طائعاً لأمره لو تأكد فقط بأنه سيحقق ما يطلبه منه، ولهذا كان الله مترفقاً به. ولكن التحذير واضح: لا تُجرِّب الرب، ولا تستخف بإمهاله وطول أناته، وهذا عمل خطير. يظهر الشك والاستياء في قلوبنا عندما نجرب الله.

الحية الرابعة

التذمر

«وَلاَ تَتَذَمَّرُوا (من الله ومعاملاته معكم) كَمَا تَذَمَّرَ أَيْضًا أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَهُمُ الْمُهْلِكُ» (١كو ١٠:١٠).

إن تذمرات الإسرائيليين قد زادت إلى أن وصلت إلى العصيان الصريح. لقد كان الاشمئزاز مصوباً. لقد قامت ثورة ضد موسى ولكن الله قتل العصاة.

إن التذمر هو الأكثر خطورة وسط كل الحيات النارية في البرية. فعادة الشكوى تتحول إلى موقف مستمر من الاستياء. إننا نشكو من الظروف ولكن «التذمر» موجه نحو الله.

إن الشخص المتذمر دائماً ما يكون متشائماً. ومهما بدا المستقبل، فإنه يتوقع باستمرار الأسوأ.

إنه يرى انهيار الاقتصاد وفشل الصحة وزواجه المحطم، وضلال أولاده وزلزالاً يدمر الأرض.

إن الشخص المتذمر يسوِّى المعاناة بالواقع. فهو يشعر أن الأسى

هو المتوقع في هذا العالم وأن السعادة هى في قاموس الأنبياء والحالمين الذين لا يعرفون حقيقة هذه الحياة. إنه يشعر بسوء المعاملة سواء من قِبَل الله، أو الحياة، أو زوجته، أو جيرانه، أو رئيسه في العمل وغير ذلك. ومن ثم يظهر موقفه السلبى في صورة تيار مستمر من النقد اللاذع تجاه كل شخص وأي شىء: فالأسعار لا يمكن احتمالها بأى حال من الأحوال! وأن الحكومة فاسدة! وأن الشباب غير مسئولين! وأن كل قائد سيارة عداه غبى، وأنه لم يعد هناك برنامج لطيف في التليفزيون!

إن الشخص المتذمر يتوق إلى الماضى توقاً شديداً تماماً مثل الإسرائيليين في البرية. «لقد كان الأمر مختلفاً عندما كنت صغيراً، أو عندما كنت أعيش في الريف، أو عندما تزوجنا حديثاً».

إن موقف التذمر يفسد أى شىء يكون له صلة مباشرة معه. فإذا ما ألفنا الشكوى التى تجعل قلوبنا متحجرة تجاه الله، يكاد يستحيل الخروج من هذه الدائرة، والتى كانت سبباً في العظام المبيضة في البرية.

ولقد لخص بولس الرسول تحذيراته بهذه الطريقة: «إِذًا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ» (١كو ١٠:١٢). بمعنى أن كل الرغبات الرديئة ليست جديدة ولا مختلفة، لأن كثيرين قبلنا واجهوا مثلها.

إن الخمس الحيات النارية من شهوة، وعبادة أصنام، وزنى، وتجربة الله، وتذمر ستواجه جميعنا في برية مشكلاتنا. إن كل شخص سوف يقع تحت تجربة الاعتقاد بأن موقفنا الشخصى هو إلى حدٍ ما موقف متفرد،

وبالتالـى مُعفى من قواعد ومبادىء الله. لكننا قرأنا أن الرسـول بولس يؤكد لنا أن الأمور ليست هكذا!

إن أحد الأسـئلة الدينية التى يستخدمها إبليس في الغالب الأعم هو الاقتراح بأن الله قد قـام بتدعيم موقفنا من الناحية الأخلاقية إزاء هذا الأمر الشخصى والفريد من نوعه.

إن ضروبـاً مختلفة من خطايا الزنا قد تم ارتكابها، وسُـرقت النقود، والأحاديـث التـى لا تخلـو من الكـذب، وخطايا أخرى للرجال والنسـاء محاولـين تبريرها لدرجـة أنهم قد خدعوا أنفسـهم ظانين أن الله قد وضع استثناء يحظون به هم فقط.

لا يوجـد ثمة اتجاه متفرد في تقديم أى تنازل بخصوص القواعد التى يتعامـل الله بها معنا. إن كل المواقف التى يمر بها الآخرون هى معروفة ومعلومـة من قِبَلْ الله. ولقد واصل الرسـول بولس حديثـه قائلاً: «لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَـرِيَّةٌ. وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّـذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَـيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو ١٠:١٣).

ليس المقصود أبداً بالتجربة هو كسرنا ولكن لكشف ما يحتاج في داخلنا إلى التعريض والظهور على السطح.

يمكننـا أن نصمـد أمام أى تجربة (هذا وعد) حتى لو كانت المشـكلة تبدو قوية ضاغطة. إن قوة المسـيح يمكن أن تجتاز بنا إلى أن يتحقق لنا الانتصار لو وصلت الأمور إلى درجة رهيبة من الاضطراب، فإن الله مدبر لنا طريقة الهروب (المنفذ).

إذا كنا نرتعب، فإن الله سيأتى ويتدخل في المشكلة لإنقاذنا وليس لكي يرانا نفشل. ولكن كنتيجة لذلك، ستطول فترة انتظارنا في البرية، لأن الطريق الوحيد إلى أرض الموعد هو أن نجتاز المشكلة بنجاح متكلين على كلمة الله فقط!

لو أننا خضعنا تماماً للمبدأ، مسلّمين أنفسنا بالكامل للمسيح، فإنه سيمدنا بالقوة التى تجتاز بنا عبر المشكلة. تذكر أنه الشخص الذى انتصر في التجربة؛ وهذا الانتصار هو انتصارنا عندما نتعلق به كما ينبغى.

الفصل الحادى عشر

كيف تمتلك الأرض ؟

عندما ترك الإسرائيليون أخيراً البرية واجتازوا عبر نهر الأردن إلى أرض الموعد، واجهوا الواقع الذى يميل كثير منا أن ينسوه «كإسرائيليين روحانيين» وهو أن الأرض لازالت في حوزة الأعداء! لقد كانت هناك أمم وعماليق ومدن محصنة في الأرض. قد ندخل الأرض ولكن لا يعنى ذلك امتلاكنا الكامل لها.

كمسيحى شاب تعودت في تفكيرى بأنه يوماً ما قريباً سأصل إلى أرض موعدى وأمتلكها كلها تواً.

ومن المحتمل أن يحدث ذلك في إحدى الحلقات الدراسية، أو في أحد تجمعات الخيمات، أو في نهضة، أو بعد الصلاة مع رجل عظيم في الإيمان. وتخيلت نفسى وقد تحولت إلى مسيحى «سوبر» لا يمكن أن يحنيه الزمن أبداً، ولا يمكن أن يشك أو يتعثر أو يسقط. رجل لا يمكن أن تؤثر عليه التجربة بفقدان طول أناته أو أن يرزح تحت ثقل الضغوط. وتوقعت أن أمراً ما سيحدث داخلى وسأختبر النضج بسرعة شديدة، وأصبح الرجل الذى لا يمكن أن يفعل شيئاً خطأ!

إن الكتاب المقدس يخبرنا بأن الإمتلاك الفورى لأرض الموعد، أو النضج الروحى في الحال، أمر مستحيل. وهذا ليس بسبب أن الله لا يقدر أن يعطينا إياها في الحال، ولكن لأنه لو فعل ذلك، سيكون مصيرنا الدمار.

استمع إلى موسى جيداً وهو يفسر خطة الله للإسرائيليين: «مَتَى أَتَى بِكَ الرَّبُّ إِلهُكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أَنْتَ دَاخِلٌ إِلَيْهَا لِتَمْتَلِكَهَا، وَطَرَدَ شُعُوبًا كَثِيرَةً مِنْ أَمَامِكَ...... لاَ تَرْهَبْ وُجُوهَهُمْ، لأَنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ فِي وَسَطِكَ إِلهٌ عَظِيمٌ وَمَخُوفٌ. وَلكِنَّ الرَّبَّ إِلهَكَ يَطْرُدُ هؤُلاَءِ الشُّعُوبَ مِنْ أَمَامِكَ قَلِيلاً قَلِيلاً. لاَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُفْنِيَهُمْ سَرِيعًا، لِئَلاَّ تَكْثُرَ عَلَيْكَ وُحُوشُ الْبَرِّيَّةِ» (تثنية ٧:١، ٢١، ٢٢).

إن أرض موعدنا يمكن أن تصير لنا أيضاً تدريجياً، لأنه يجب أن يكون لدينا متسع من الوقت لكيما ننمو في إمكانية امتلاكها.

إن النمو السريع المذهل غير العادى في كنيسة ما، أو جماعة، أو فرد يعتبر أمراً غير طبيعي. وإذا أمعنت النظر قد تجد «وحوش البرية» هناك: عدم الاستقرار، سيطرة العواطف، عقيدة خطرة، نقص في التعليم السليم والإيمان القويم.

لقد أدرك بطرس ضرورة امتلاك الأرض «قليلاً قليلاً»، فذات مرة ظن نفسه مستعداً للدخول إلى الأرض وامتلاكها كلها في الحال! فكانت النتيجة أنه خر ساقطاً على وجهه.

طيلة ثلاثة أعوام كان بطرس تلميذاً ليسوع. لقد تلقى تدريباً مكثفاً في مبادىء الله بواسطة المعلم الأعظم. في عشية خيانته، حدد يسوع وعداً لتابعيه:

«أَنْتُمُ الَّذِينَ ثَبَتُوا مَعِي فِي تَجَارِبِي، وَأَنَا أَجْعَلُ لَكُمْ كَمَا جَعَلَ لِي

أَبِي مَلَكُوتًا، لِتَأْكُلُوا وَتَشْرَبُوا عَلَى مَائِدَتِي فِي مَلَكُوتِي، وَتَجْلِسُوا عَلَى كَرَاسِيَّ تَدِينُونَ أَسْبَاطَ إِسْرَائِيلَ الاثْنَيْ عَشَرَ» (لوقا ٢٢:٢٨ ـ ٣٠).

وفي الحال بعد هذه المقولة المذهلة، واصل يسوع حديثه لسمعان قائلاً: «سِمْعَانُ، سِمْعَانُ! (عندما ينادي يسوع على بطرس باسم سمعان، فإنه يخاطب طبيعته القديمة غير المستقرة، فسمعان معناه الضعيف الشخصية، بينما بطرس معناه صخر) هُوَذَا الشَّيْطَانُ طَلَبَكُمْ لِكَيْ يُغَرْبِلَكُمْ كَالْحِنْطَةِ! وَلكِنِّي طَلَبْتُ مِنْ أَجْلِكَ لِكَيْ لاَ يَفْنَى إِيمَانُكَ. وَأَنْتَ مَتَى رَجَعْتَ ثَبِّتْ إِخْوَتَكَ» (لوقا ٢٢:٣١، ٣٢).

لقد سمح يسوع للشيطان بأن يقترب من سمعان لأنه كان في حاجة إلى أن يتعرض للتجربة. لقد كان في أعماق قلبه شيء يسير لذا تحتم عليه الدخول في اختبار قبل أن يدخل إلى أرض الموعد كقائد له القدرة على أن يقوّي ويثبّت إيمان إخوته. لو أن بطرس سيصير مثلما أراده يسوع أن يكون، فإن يسوع ليس لديه بديل سوى أن يعرضه للمشكلة. ربما نخاف قليلاً عندما ندرك أن يسوع من المؤكد أنه سيفعل نفس الشيء معنا. إننا نعرف بأنه يطلب من أجلنا ويصلي حتى لا يفنى إيماننا، ولكنه لا يستطيع أن يصلي ألا تصيبنا مشكلة في تدريب أبنائنا. يمكننا أن نعلمهم عن الحياة، وكيفية التمييز بين الصواب والخطأ. ولكن يأتي وقت لابد أن يتعرضوا فيه للتجربة، ويختاروا بأنفسهم. أما إذا كنا نصر على أن نقوم بالاختيارات نيابة عنهم، فإنهم لن ينموا ويصبحوا أفراداً ناضجين. وكأب، قد شاهدت أطفالي يدخلون في مواقف أعرف

أنها ستكون موضع اختبار لهم. إنني لا أستطيع أن أقرر النتيجة، فأصلي حتى لا يفنى إيمانهم تماماً.

وبمواصلة حديثنا بين يسوع وبطرس، نسمع بطرس يستجيب لتعبير يسوع بنفس الطريقة التي كان سيستجيب بها معظمنا: «يَارَبُّ، إِنِّي مُسْتَعِدٌّ أَنْ أَمْضِيَ مَعَكَ حَتَّى إِلَى السِّجْنِ وَإِلَى الْمَوْتِ» (لوقا ٢٢:٣٣).

لقد كان في أعماق بطرس قليلاً من الكبرياء والاكتفاء الذاتي. فمن المحتمل أنه كان يفكر: «يارب، ماذا تعني بأن تصلي من أجلي؟ إنني لست بحاجة إلى ذلك. إنني أكثر تلميذ مخلص لديك!». ولقد كان يزعم بأنه مستعد لأي تجربة، إذ شعر بأن لديه من القوة والقدرة والناحية الروحية ما يجعله قادراً علي ملاقاة ما قد يعتريه من أمور شائكة مهما كان كنهها.

استمع إلى الرسول بولس، بعد بضع سنوات، محذراً من هذا الاتجاه: «إِذًا مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لاَ يَسْقُطَ (مَنْ يشعر بأنه متأكد أن لديه عقلاً راسخاً، وواقفاً في ثبات فليحذر أن يسقط في الخطية)» (١كو ١٠:١٢).

عندما نشعر بأننا أقوياء، ولم نعد نعتمد على المسيح بسبب قوتنا، ننسى أننا في حاجة إليه، ونبدأ في الحال نتعثر. لقد ظن بطرس أنه صامد وأن كلمة عثرة لم تكن في مفرداته في تلك اللحظة. لكن يسوع علم ما سيحدث، وواصل حديثه قائلاً لبطرس: «أَقُولُ لَكَ يَابُطْرُسُ: لاَ يَصِيحُ الدِّيكُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَنْ تُنْكِرَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ أَنَّكَ تَعْرِفُنِي» (لو ٢٢:٣٤).

إن رد بطرس غير مسجل لنا، ولكنني متأكد من شعوره الأكيد أن توقع يسوع لن يحدث. لقد كان بطرس شغوفاً وتواقاً إلى إثبات إخلاصه، لدرجة أنه كان مستعداً للذهاب إلى السجن أو أن يُقْتَلْ من أجل سيده. ما أسهل بالنسبة لي أن أفعل مثلما فعل بطرس تماماً. غالباً ما كنت أندفع بجنون لكيما أقوم بعمل بطولي، وربما خطيراً أيضاً وذلك لتقرير الملكوت.

إن المؤمنين يزيدون من صمام قوة الإرادة لديهم، وينهمكون في أنشطة طاحنة (من أجل الرب) ولكن نادراً ما يعمل الله بمثل هذه الطريقة. ربما يُدعى بعض المؤمنين للمخاطرة بحياتهم في إرسالية لتهريب الكتاب المقدس خلف الستار الحديدي، ولكن ليس قبل أن يتعلموا الخضوع والطاعة في الأمور البسيطة جداً التي يعهدون بها في حياتهم اليومية. إننا دائماً تواقون أن نخلق معارك ومشكلات من تلقاء أنفسنا ولكن الأمور سوف تكون أفضل إذا انتظرنا الرب وأمره.

إن بطرس الرسول أراد تحدياً واضحاً في حرب ظاهرية مع عدو معروف، ولكن يسوع عرف قلبه مثلما يعرف قلوبنا نحن أيضاً. ونلاحظ ما يقرره لوقا إزاء تصرف بطرس الشخص في هذه المشكلة في الآيات من ٥٦ حتى ٦٢.

إن هذا الحدث كان تالياً للقبض على يسوع والمحاكمة في الصباح الباكر في بيت رئيس الكهنة. كلما أقرأ هذه الرواية أشعر وكأنني أقف في نفس موقف بطرس، ناظراً عيني الرب المُحِبّة. هاتان العينان التي لا تحملان أي

إدانـــة، ولكنهما يحملان حنـــواً فقط وفهماً. لقد رأى بطرس نفســـه في هاتـــين العينين، مجرداً من أي إدعاء، غير مســـتحق بالمـــرة لعناية ربه. ومع ذلك، رأى أيضاً بأن يسوع قد عرف كل ما يمر به من ضعف، وأحبه.

مـــن المؤكد أن بطرس قد حزن في ذلك الصباح حزناً شـــديداً لدرجة أنه كما لو كان قد مات ألف مرة من الحزن، ذارفاً الدموع السخينة، دموع التوبة متخلياً عن ذاته، وتباهيه الشـــديد بنفســـه وبقوته. لقد سقط بطـــرس، ولكن لم يفنَ إيمانه. وربما قد تذكر الكلمات الكتابية لتعليمه فـــي أيامه، ولتعليمنا نحن أيضـــاً هكذا: «مِنْ قِبَلِ الـــرَّبِّ تَتَثَبَّتُ خَطَوَاتُ الإِنْسَانِ وَفِي طَرِيقِهِ يُسَـرُّ. إِذَا سَقَطَ لاَ يَنْطَرِحُ، لأَنَّ الرَّبَّ مُسْنِدٌ يَدَهُ» (مز ٣٧:٢٣، ٢٤).

كان بطرس إنســـاناً صالحـــاً، وكان مصمماً في قلبه لعمل إرادة الله. إنه لم يهلك في المشكلة، وكانت التجربة ضرورية بالنسبة له لكشف الكبرياء، والاكتفاء الذاتى وذلـــك لإقصائهما قبل أن يكون بطرس قادراً على الاعتماد الكلى على الله.

إن بطرس القديم كان يفضـــل الاندفاع لامتلاك أرض الموعد بالكامل فـــي الحال. ولكن بطـــرس الجديد عرف أنه في حاجة إلى النمو الراســـخ في الإيمان. لقـــد تعلم كيف يقوِّى ويثبِّت إيمان إخوته حتي لا يقعون في نفـــس الخطأ الذى وقع هو فيـــه. لقد كان هذا جـــزءاً ضرورياً من الإعداد مكَّنه من الكتابة إلى الذين قد تحولوا إلى الإيمان حديثاً في القرن الأول. «من سمعان بطرس، عبد يسوع المسيح ورسوله (رسول خاص ليسوع

المسيح)، إلى الذين يشاركوننا (نفس الميزة) في الإيمان الواحد الثمين الذى نتساوى جميعاً في الحصول عليه ببر إلهنا ومخلِّصنا يسوع المسيح!.... اللذين بهما أعطانا الله بركاته العظمى الثمينة التي كان قد وعد بها. وبهذا صار بإمكانكم أن تتخلصوا (بالفرار) من الفساد (النتانة والعفن) الذى تنشره الشهوة (التحرق والطمع) في العالم، وتشتركوا (تتقاسموا) في الطبيعة الإلهية» (٢بطرس ١:١، ٤) (بحسب العهد الجديد التفسيرى).

إن هذه هى أرض موعدنا، وهنا يخبرنا الرسول بطرس كيفية امتلاكها ـ شيئاً فشيئاً ـ كما ذكر ذلك في رسالته الثانية ١:١ ـ ٤ إضافات يذكرها في القائمة، قائلاً بأن هذه الأشياء يجب أن نرسخها داخلنا ـ الواحدة تلو الأخرى ـ وهذا ما سنبنى عليه الوعد الراسخ لدينا.

وهكذا سنكون شركاء لطبيعة المسيح.

(١) الاجتهاد :

كن مثابراً، مواظباً على ذلك، وعاملاً به. وتذكر أن هذا العمل ليس عملنا، ولكن بالأحرى فهو عمل المسيح الذى يعمل بداخلنا. استخدم اجتهادك لتدريب إيمانك.

(٢) الإيمان :

عليك ألا تألو جهداً في التدريب على إيمانك. عليك أن توطد جوهر الإيمان المعطى لنا داخل أعماق قلبك وذلك كما ورد في (عبرانيين ١١:١).

«أما الإيمان، فهو الثقة (التصديق التام، سند الملكية) بأن ما نرجوه

نحـن من أشـــياء لابد أن يتحـقـق، والاقتنـاع بـــأن مـا لا نـراه مـوجـود حـقـاً (ما لم تـصل إليـه مـداركـنـا نـدركـه بالإيمان كـأمرٍ واقـع)» (بحـسـب الـعـهـد الجديد التفسيرى).

(٣) الفضيلة :

وهـــي تعـنـى أنـنـا نـتـعـامـل مع الأمـور بطـريقـة صحيحـة، ولا نســـتـخـدم الطـرق الملتوية لكى نصل إلى ما نبتغيه بســرعـة ويُسـر. فالفضيلة هـــى الامـتـيـان الطـيـبـة الحقيقيـة، الاســتقـامـة، الثبات، القـوة المســيـحـيـة العاملة. تدرب عليها ومارسها لنماء المعرفة لديك.

(٤) المعرفـة :

تعلم أن تعـرف الله أفضل، واكـتـشـف ما يريده منك أن تفعـله. جِد في معـرفـة إرادته لـك، ادرس وفتش كتابك المقدس، لا تقضِ حياتك على ما يسـقيه الآخرون بالملعقة. عليك بإحضار معجم ممتاز للكتاب المقدس، وتعلم كيف تسـتخدم الفهرس الأبجدى. زد من معرفتك الشـخصية بالله، وبطرقه، وكلمته، أثناء ما أنت تمارس وتحيا ما تعرفه عن طرق الله وما يريده منك، عليك بتنمية ضبط النفس لديك.

(٥) التعفف (أو ضبط النفس) "Self - control".

ما الذى يجعلنا نفقد الســيطرة على زمام الأمور؟ عنادنا وتشـبثنا برأينا. إننا نغضب غضباً شــديداً عندما يقف أحدهم في طريق رغبتنا، أو عندما تتكدر راحتنا، أو عندما يشكك أحدهم في اعتقاد راسخ لدينا.

إن المشكلة تكمن دائماً في أنانيتنا المفرطة. كيف لنا أن نتدرب على ضبط النفس؟ ليس بالحجز علي أسناننا مكررين: «لن أفقد صوابى... لن أفقد صوابى» يمكننا السيطرة على أنفسنا إذا ما تخلينا تماماً عن رغباتنا، وإماتة الأنا لدينا، وملكنا يسوع على حياتنا. عندما يملك الله على حياتنا، نكون آنذاك قد تعلمنا الدرس جيداً، وعندما يحدث هذا، سوف نكتسب طول الأناة.

(٦) طول الأناة "Patience"

هو الاحتمال الثابت في كل الظروف، ويمكن تنميتها فقط بالتدريب عليها. إن طول الأناة لا يمكن أن تختبره أبداً إلا إذا حولت أولوياتك إلى يسوع وهو الذى يمكنه أن ينتظر طويلاً، مثلما فعل في مؤخرة السفينة التى كانت تغرق، وذلك بدون أن يكون هناك أى نوع من التوتر. فهو قادر على أن يتحكم في كل ظروف الحياة، فعندما تترك له زمام أمورك، فستبدأ في أن تشترك في الطبيعة الإلهية، وكذلك طول الأناة الإلهى. إن مواصلة التدرب على طول الأناة يصل بنا إلى التقوى.

(٧) التقوى "Godliness"

هذه الكلمة تتضمن داخلها معانٍ كثيرة، أهمها عدم التحيز أو العدل. إن الله كلى العدالة ومنزه عن الظلم. يمكنك أن تعرف مدى ورعك بالطريقة التى تتعامل بها مع أعدائك. هل تحبهم مثلما تحب أصدقاءك؟ لو فرضنا جدلاً أنك تقلدت الأمور بدلاً من الله وكان لديك بعض الأمطار التى ستهبها، على مَنْ سترسلها؟ هل على العادل وغير العادل؟

إذا كانــت لديــك القدرة على أن تكــون منزهاً، فإن هــذه هى علامة التقوى. فأثناء تدريبك على التقوى، فإنك تنمى لديك المحبة الأخوية.

(٨) المحبة الأخوية "Brotherly affection"

هل تنظر إلي كل إنسان بمحبة؟ حتى لو كان غير نظيف، أو قبيحاً، أو وضيعــاً؟ إن المحبة الأخوية هى جــزء من تحقيق أرض الموعد الذى أعده الله لنا. عليك أن تطرح جانباً ردود أفعالك القديمة نحو الناس الذين لا تحبهم، وتسلم نفسك بالكامل للمسيح، واجعل محبته تظهر من خلالك. إنه يحب كل الناس كإخوة.

عندما تحيا بالمحبة الأخوية، سوف تكتسب المحبة المسيحية.

(٩) المحبة المسيحية

هــذه هـــى الخطوة الأخيرة في ســلّم الاســتعداد لامتــلاك الأرض. إن الحب المســيحى (أغابى)* وهو أســمى أنواع الحب، وهو التكريس الروحى والعقلــى المقصود والمتعمد تجاه شــخصٍ ما. إنه ليس مجرد مشــاعر عاطفية - تذريها الريح - لكنه محبة وطيدة راسخة وغير متغيرة.

إن الحــب الطبيعى الذى يقدر عليه معظمنا كبشــر، دائماً ما يكون موجهاً نحو أمرٍ نتعلق به أو شخص نكن له مشاعر الإعجاب والإنجذاب

---

* agape أجابــى أو أغابــى ومعناها الحب المضحى الباذل، الذى يعطى دون أن ينتظر الأخذ، وهو الحب للحب، أى أســمى أنواع الحب. فحب المســيح لنا كان حباً أجابياً، ضحى بنفسه، إذ وُجِد في الهيئة كإنســان وأطاع حتي الموت موت الصليــب، مجاناً وبلا مقابل. وعندما نصير أولاداً وبناتٍ له، يكون لنا هذا الحب الأجابى في المسيح يسوع، ويراه الآخرون فينا. (المترجم).

والإستحسان، أما أغابى فهو طبيعة محبة الله. إنه يحبنا بالرغم من قبحنا، وارتكابنا الإثم، وتمردنا. وبالإجماع يستحيل علينا أن تكون محبتنا كهذه، إلا إذا سكن المسيح في داخلنا، وعندئذ تظهر محبته فينا.

وعندما تتوطد محبته داخل قلوبنا، سنكون قادرين على إظهار المحبة كما يقودنا الله، بغض النظر عن مشاعرنا.

عندما نجد أنفسنا إزاء شخصٍ ما لا نكن له مشاعر الحب، يمكننا الاعتراف بنقص محبتنا، مقاومين مشاعرنا الإنسانية، ونسلم أنفسنا للمسيح، طالبين منه أن يجعلنا قادرين على أن نحب.

إن الحب «الأغابى» يجعل الأمر ممكناً بأن نختبر في الزواج حباً لا يقل أو يفتر.

لا يمكن إنهاء الزواج أبداً لنقص الحب. فلو بدأ الحب فاتراً، فلا يوجد طريقة مثلى في حل تلك الإشكالية إلا بالاعتراف، والتوبة، والرغبة القلبية الأكيدة في الاستناد علي مبدأ الله. فقد تكون المشكلة وعرة، ولكن ثقتنا في إتمام وعد الله لنا في المسيح. لقد أمرنا يسوع بأن نحب، حتى أعداءنا. عندما نلقى نظرة ثانية على مبادىء بطرس التسعة، سوف نجد أنها مترابطة معاً تصاعدياً ويمكن تنميتها فقط الواحد تلو الآخر، وشيئاً فشيئاً. إننا في حاجة إليها لامتلاك الأرض.

ويختم بطرس الرسول هذه الأفكار بالتشجيعات والوعود التالية: «لأَنَّ هذِهِ إِذَا كَانَتْ فِيكُمْ وَكَثُرَتْ، تُصَيِّرُكُمْ لاَ مُتَكَاسِلِينَ وَلاَ غَيْرَ مُثْمِرِينَ لِمَعْرِفَةِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (٢بط ١:٨).

أمــا إذا لـم نملك هـذه الصفــات، فنحـن عميان روحيــاً. ونحـن قـصيرو البصــر وتائهـون فـي البرية، ونعانـى ونســير فـي خطـــى متعـثرة. فقصد الله لنا هـو أن يأتـى بنا إلـى داخل أرض الموعد. وأى شـــخص لا ينتهز هذه الفرصة بكل حماس، فهو بالغ الحماقة فعلاً كما يقول بطرس الرسـول: «لِذلِكَ بِالأَكْثَرِ اجْتَهِدُوا أَيُّهَا الإِخْوَةُ أَنْ تَجْعَلُوا دَعْوَتَكُمْ وَاخْتِيَارَكُمْ ثَابِتَيْنِ. لأَنَّكُمْ إِذَا فَعَلْتُمْ ذلِكَ، لَنْ تَزِلُّوا أَبَدًا» (٢بطرس ١:١٠).

إن كلمــة أبــداً «never» التى يســتخدمها بطرس هنــا تعني أبداً المطلقــة، الباتة، والقاطعة! لقد عرف بطرس معني الســقوط، وكيف يمكن تجنب ذلك.

حالما تســمح للمســيح بتنمية هذه المبادىء التســعة في حياتك، فلن تســقط أبداً، لأنه لن يكــون هناك إثم تراعيه فـــي قلبك يؤدى بك إلى أن تتعثر عندما تأتى التجربــة لتمحيصك وإعدادك لامتلاك الأرض «لأَنَّهُ هكَذَا يُقَدَّمُ لَكُمْ بِسِعَةٍ دُخُولٌ إِلَى مَلَكُوتِ رَبِّنَا وَمُخَلِّصِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ الأَبَدِيِّ» (٢بطرس ١:١١). إننى أؤكد لكم أن الملكوت يبدأ من هنا والآن، فهو ينتظرنا أن ندخل ونمتلكه قليلاً قليلاً!

الفصل الثانى عشر

التصرف الشخصى في الحرب

عندما ندخل أرض الموعد، نجد أنفسنا وجهاً لوجه مع الأعداء المرعبين. فجل قصدهم هو عدم التخلى عن ممتلكاتهم إلا إذا كان هناك كفاح مريراً. لقد وعدنا الله بأن يطرد أعداءنا من أمامنا، شيئاً فشيئاً، ولكن مشاركتنا وتصرفنا الشخصى في الحرب سيحددان النتائج.

مرة ثانية، مثالنا في ذلك هو الإسرائيليون. قصة كيفية مجيئهم لامتلاك أرض موعدهم بحسب الكتاب المقدس قليلاً قليلاً، يُظهر نفس المبدأ المرة تلو الأخرى:

(١) عندما أطاعوا الله، ووثقوا فيه كليةً، كان يجعلهم دائماً يكسبون المعركة.

(٢) وعندما كانوا يتكلون على قوتهم الذاتية، كانوا يخسرون المعركة. كان يسوع ويهوشافاط (٢أخ ٢٠) مثالين لقائدين انتصرا بالطاعة والثقة في الله.

لم تكن الحروب هى حروبهم، بل هى حرب الله، ولكن النتيجة كانت تعتمد على تصرف الإسرائيليين أثناء الحرب. فلو تشككوا في كلمة الله وأقحموا أنفسهم في الحرب، لما حفظهم الله من الأذى. إن الله يحارب حروبنا إذا ما تتبعنا تعليماته ووثقنا فيه منتظرين النتيجة.

إن إعدادنا في الحروب الذى وعد الله بأن يكسبنا إياها تشتمل على أن نتعلم بأن نبعد ذواتنا عن الطريق لكيما نتكل اتكالاً كلياً على الله.

عندما نرجع بنظرتنا إلى البرية مرة أخرى، مروراً بالمشكلات والتجارب، لأدركنا أن الموضوع بأكمله جزء لا يتجزأ من إعدادنا في الحروب لامتلاك أرض الموعد.

حالما يتجند الجند حديثاً ويدخل في معسكر تدريب، يكون شبه مفزوع لأنه لا يعرف ما هو متوقع منه. بادىء ذى بدء يتلقى التعليمات الشفهية والمكتوبة، ثم يشرع في التدريبات لتنمية احتماله الجسدى، ومقدرته على استعمال الأسلحة، وكيفية تصرفه بمحاكاة ظروف معركة حقيقية. وعندما ينتهى من فترة التدريب، نجده تواقاً إلى رؤية ما قد تعلمه من مبادىء في تطبيقات واختبارات وممارسات عملية.

إن المؤمن الشاب، يعتبر مجنداً في جيش الرب. إن مصطلحات الصراع نجدها بكثرة بين ثنايا الكتاب المقدس للتأكيد على الحرب الدائرة فعلاً بين قوات الخير وقوات الشر في عالمنا.

ينبغى أن تكون حياة المؤمن في الخطوط المتقدمة بالرغم أن الحرب ليست لنا بل للرب.

تبدأ استعداداتنا للمعركة بالتعليمات المكتوبة والشفهية من كلمة الله. إننا بحاجة إلى أن نعرف ما هو متوقع منا وكيف يعمل الله. ثم يأتى الجزء الشاق في التدريب عندما ننخرط في المشكلات والتجارب لكيما ننمى تحملنا، ونختبر ما قد تعلمناه.

إن اللّٰه يستمر في تقديم الفرص التى تساعد على النمو. فهو يغذينا ويقوينا يومياً بكلمته. فكلما قابلتنا تعاليم ورسائل حديثة، ينبغي أن نكون مهتمين اهتماماً بالغاً باستيعابها جيداً، وجعلها جزءاً من أسلحتنا، لأننا قد نكون مضطرين إلى اللجوء إليها في أثناء مواصلتنا للحرب.

عندما نفهم المبدأ ونعرف ما هو متوقع منا، نكون أكثر توقعاً للأدوار التالية في تدريبنا.

لقد اختبر القديس يعقوب فرحة الاستعداد للحرب في أيامه ويشاركنا بهذه الكلمات: «اِحْسِبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ» (يع ١:٢).

إننا مستعدون للحرب عندما نمر بالمشكلات والتجارب التى تجردنا من الإعتماد على ذواتنا، وتعلمنا الاعتماد كلية على اللّٰه طلباً للقوة. بولس أيضاً أحد رسل الكنيسة الأولي قد ترك لنا بعض كلمات التحدى في الإعداد للحرب: «أَخِيرًا يَا إِخْوَتِي تَقَوُّوْا فِي الرَّبِّ وَفِي شِدَّةِ قُوَّتِهِ. الْبَسُوا سِلاَحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلاَطِينِ، مَعَ وُلاَةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ» (أفسس ٦:١٠ ـ ١٢).

لقد اعتقد معظم المسيحيين في عالمنا الغربي المتحضر منذ سنوات قليلة بأن بولس كان يعبر عن معتقدات خرافية وغير تنويرية

للعصر الذى كان يعيش فيه، وذلك عندما وصف أعداءنا على أنهم كائنات شيطانية عظيمة، وأمراء شر عظيم للظلمة والأرواح الشريرة. واليوم نرى أدلة متزايدة عن مدى حقيقة قوات الظلمة، وكم هى أعداء مرعبة. أولئك الذين صارعوا في معارك يائسة ضد الإدمان أو الكحوليات أو الجنسية المثلية ـ هنا نذكر ثلاثة مجالات فقط تعمل فيها قوات الظلمة ـ قد اكتشفوا استحالة تغلبهم على هذه الأشياء بقوتهم الذاتية وإذا أرادوا الانتصار في هذه المعارك، فلا مناص من أن يتدخل الله.

إن قوى الظلام تعمل بنشاط في التمرد، والجريمة، وانهيار العلاقات الزوجية، والمرض، وكثير من الأسقام التى نعاني منها. ولكن هنا، كما في التجربة، تتعلق النتيجة بالتوازن الدقيق بين الفرد، والله، وقوى الشر.

لقد انتصر يسوع المسيح بالفعل في المعركة لأجلنا، والشيطان مهزوم، ولكن تعتمد النتيجة في كل موقف على الاستجابة الشخصية؛ فالشخص الذى يختار أن يقاوم الشر، ويخضع خضوعاً تاماً لله، فإن الله سيحارب ويكسب لنا المعارك. يقدم بولس الرسول نصيحة أخرى لنا ذات مواصفات معيّنة للاستفادة لملاقاة العدو (أف ٦:١٣ ـ ١٦).

كل شيء نحن بحاجة إليه للصمود في المعركة مُقَدَّمٌ لنا. لسنا في حاجة إلى أن نعتمد على شطارتنا أو قوتنا أو روحانياتنا العالية، بل إن ما نحتاج إليه فعلاً هو الاتكال على يسوع المسيح. افرح عندما تجد نفسك داخلاً في معركة، لأن النتيجة ستكشف أحد أمرين: إذا صمدت

يعني أنك استوعبت جيداً ما تحتاجه من حياة المسيح لنوال تحقيق الانتصار في أرض موعدك؛ وإذا فشلت يمكنك أن تكون سعيداً أيضاً لأن المعركة قد أظهرت ما هو مخفي في أعماق قلبك حقاً، وما تحتاج إليه لملاقاة المعركة القادمة!

إنه من الأفضل جداً اكتشاف أية ضعفات حتى يمكنك تسويتها عن أن تُكْتَشَفُ في الأبدية!

إذا كان في قلبك غضب أو غيظ أو كبرياء، وكان ذلك سبباً في حرمانك من المطالبة بحقك الشرعي لأرض الموعد - أليس من الأفضل اكتشاف مثل هذه الأمور الآن؟

لقد سمح الرب أن يخسر يشوع المعركة لكيما يريه أن في وسطهم حراماً. وعندما انكشف هذا الحرام وأزالوه، قاد الله يشوع في معركة مع نفس العدو وحقق له الانتصار (يش ٧، ٨).

لماذا أصدر الله حكماً ضد مَنْ أخذ الغنيمة في أريحا؟

لأنه كان يعرف الضعف، وروح عدم الخضوع، والطمع في عخان. لقد سمح بالتجربة لكي تكشف الضعف الموجود في الأعماق. وبعد الكشف عن الضعف والتوبة عنه، أخبر الرب يشوع أن لا يفشل ولا يخاف. عندما نقاسي مرارة الهزيمة في المعركة، علينا أن ندرك بأن الله قد سمح بذلك لكيما يرينا ضعفاً يريد أن يستبدله بقوته. لا ينبغي أن تثبط همتنا أو نجزع، لأن الله لا يظهر ضعفنا أبداً لكيما يديننا. إنه ببساطة يهيىء لنا الفرصة لكيما نخلص أنفسنا من طبيعتنا القديمة ونستبدلها بالطبيعة

الإلهية التى قد وعدنا بها الله. ولهذا يمكننا أن نفرح ونتهلل في هزائمنا وفشلنا عالمين أن الهدف النهائى الذى يريده لنا الله هو خيرنا.

إننى غالباً ما تعلمت الكثير (إن لم يكن أكثر) من الفشل عنه من النجاح.

إن الهزائم تعمل كَمُذَكِّرْ (كما كان الحال في قضية يشوع ورجاله) بأن كل شيء ليس على ما يرام في وسطنا.

قد نتمايل إلى الأمام بخفة وهدوء متبعين في ذلك نزعاتنا التى تميل إلى التمرد والعناد إلى أن نتعثر ونسقط في المعركة. ينبغى أن نشكر الله في ذلك الزمان والمكان على تذكيرنا إيانا بأننا في حاجة إليه. إن الهزيمة أو الفشل هو لكى نعود مرة أخرى إلى الله. أما إذا كنا غير متأكدين مما سَبَّب هذا الانزعاج، علينا أن نقول مثلما قال داود: «اخْتَبِرْنِي يَا ٱللهُ وَاعْرِفْ قَلْبِي. امْتَحِنِّي وَاعْرِفْ أَفْكَارِي. وَانْظُرْ إِنْ كَانَ فِيَّ طَرِيقٌ بَاطِلٌ، وَاهْدِنِي طَرِيقًا أَبَدِيًّا» (مزمور ١٣٩:٢٣، ٢٤).

أولاً : علينا بالرجوع إلى الله.

ثانياً : علينا بالاعتراف بالخطأ، حتى لو لم نعرف خطأنا بالضبط. ينبغى أن نتوب مثل يشوع. لأننا نعلم بأننا لو اتبعنا التعليمات المعطاة لنا واتكالنا كلياً على حياة المسيح وقوته، فالنصر سيكون حليفنا بالتأكيد. إن المسيح لا يفشل أبداً، لكننا عندما نفشل، فإن ذلك يرجع إلى خطأ في عملنا عند نقطة معينة.

إن التوبة تقود إلى التجديد وهذا ما فعله بعد اكتشاف خطئه (مزمور ٥١).

إن القلب النقى والطبيعة الجديدة هما جزء من أرض الموعد. إن الله يكشف قلوبنا شيئاً فشيئاً، ويجددها. لا يمكن أن نُفحص فحصاً دقيقاً كاملاً في الحال، ولكن يحدث ذلك تدريجياً في المواضع التي يوجد بها الأنانية، الخوف، الطمع، الشهوة، عبادة الأصنام، الحسد، وكل مواضع النزاع الأخرى، فيتم فضح مثل هذه الأمور ثم التطهير منها وتجديدها. وهذا يفسح المجال للطبيعة الجديدة بما فيها من محبة، فرح، سلام، طول أناة، لطف، صلاح، إيمان، وداعة، تعفف!

لتفحص كل فشل تمر به واعتبره فرصة للنمو، تقربك أكثر إلى الرب. انهض من سقطتك مرة ثانية وقل: «آسف يارب، لقد أخفقت في ذلك مرة ثانية، من فضلك يارب عرفني، وعلمني، وغيرني».

عندما نتعلم أن نتكل على أنفسنا أقل، ونثق في المسيح أكثر؛ وعندما نتعلم أن نأتى إليه قبل بدء المعركة، فنحن وبكل تأكيد أعظم من منتصرين. سيعطينا الرب الحكمة متى طلبناها منه (يع ١:٥ ـ ٨). إنه يريد أن يعدنا إعداداً تاماً لكيما نتصرف جيداً في الحرب. وبعد أن ننتصر في الحرب، سنحكم في هذه الحياة كملوك.

«طُوبَى لِلرَّجُلِ الَّذِي يَحْتَمِلُ التَّجْرِبَةَ، لأَنَّهُ إِذَا تَزَكَّى (يجتاز الامتحان بنجاح) يَنَالُ «إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» الَّذِي وَعَدَ بِهِ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ» (يعقوب ١:١٢).

إن إتمــام الوعد هو لنا: أرض الموعد بمدنهــا العظيمة التى لم نبنها، وآبارها التى لم نحفرها، وكرومها وزيتونها التى لم نغرسها.

وهناك سنختبر الأمان المالى، والفرح في علاقاتنا الزوجية، مطمئنين في عناية الإله القدير وهذا هو مكان راحتنا إذ نســتطيع كل شىء في المسيح الذى يقوينا. سيكون هناك أعداء ومشكلات، ولكننا متسلطون عليها بما يقدمه لنا المسيح من سلام ورقة.

منذ فترة ليســت ببعيدة، تلقى مكتبى مكالمــة تليفونية، أن ابننا البالغ من العمر أربع سنوات قد نقلوه إلى غرفة الطوارىء بالمستشفى فأســرعت مندفعاً إلى هناك، فوجدت زوجتى جودى بجانب سريره. لقد صدمته ســيارة مســرعة أثناء ما كان يلعب خارج منزلنــا، وحدثت به جروح، ورضوض، وكسر في عظم الفخذ أسفل الحوض.

بينما كنا واقفين بجوار ســريره، أتت التجربة لكيما تجعلنا نشــعر بــأن هذا عقاب لنا من الله، ولكن بدلاً مــن ذلك كان كلانا ـ جودى وأنا ـ يغمرنا الفرح، والشــعور بحب الله الهائل لنا، ولطفلنا الصغير. وأثناء وجودنا بغرفة الطوارىء رافعين أيدينا أمام الرب عرفاناً بالجميل ولفضله علينا، أدركنا ما تعنيه: «اِحْسِــبُوهُ كُلَّ فَرَحٍ يَا إِخْوَتِي حِينَمَا تَقَعُونَ فِي تَجَارِبَ مُتَنَوِّعَةٍ» (يعقوب ١:٢).

إن إتمام الوعد الرائع الموجود في رســالة رومية الأصحاح الثامن كان لنا «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟». عندما ندخل في شدة أو ضيق، عندما تصدم سيارة ابننا الصغير وتكون إصابته بالغة.. لا، لا شىء أبداً

يقدر أن يفصلنا عن محبة الله التى لنا في المسيح يسوع الذى مات لأجلنا. هذا هو إتمام الوعد أو الهدف الأسمى، ويحق لنا المطالبة به. إننا كمؤمنين (إسرائيل الروحى) ليس المقصود هو أن نكون هائمين دائمى التجول في البرية. إن الله يريد منا أن نطالب بحقنا في إتمام الوعود المُعَدَّة لنا في أرض الموعد. إنه يريدنا أن ندرك لماذا قادنا في البرية وإلى أين يريد أن يأخذنا؟

هل تعلمت كيف تربط ما بين الوعد، والمبدأ والمشكلة؟ هل أدركت الغرض من التجربة والسؤال الدينى؟

هل فهمت أنه إذا ما فشلنا مرة أو اثنتين ـ أو حتى ثلاث مرات ـ في المشكلة، فإننا نعلم أننا قادرون على أن نستجمع قوانا مرة أخرى من أجل جولة أخرى حول الجبل بدون الشعور بالذنب إثر ذلك؟ هل تعرف من أين تستقى التعليمات عندما ترتاب في سبب فشلك؟

هل تيقنت جيداً أنك عندما تصمد وتدخل أرض الموعد، فلا تزال أمامك حروب؟

هل تشعر بأنك على أتم الاستعداد لانتظار الرب لكيما يعطيك تعليمات إزاء هجمات العدو وإقصاء المعتدين عليك كلية من أمامك؟ هل يمكن أن تقابل اختبارات البرية بكل مشكلاتها، وتجاربها، وأسئلتها الدينية، وأنت متيقن ومطمئن وواثق تمام الثقة بأن كل هذه الأمور التى نمر بها ليست لحرماننا من إتمام الوعود التى أعدها الله لنا، ولكن من أجل إعدادنا لنوالها؟

بينما تجيب عن هذه الأسئلة، أصلي طالباً من الله أن يكون قد ساعدك هذا الكتاب أن تحسبه كل فرح حينما تقع في تجارب متنوعة لأنك الآن تفهم وتدرك جيداً بأن غرض الله من التجربة هو أن يصل بك إلى أرض موعدك حيث إتمام وعوده الشرعية لك.

أرجو ألاَّ تستسلم لحياة الهزيمة الدائمة، ولكن تقوَّ في الحرب بوعوده!

«لَمْ تُصِبْكُمْ تَجْرِبَةٌ إِلاَّ بَشَرِيَّةٌ.
وَلكِنَّ اللهَ أَمِينٌ،
الَّذِي لاَ يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ
فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ،
بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ،
لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا»

(١كو ١٠: ١٣)

إحدى وعشرون برية بالكتاب المقدس وتوضيح ذلك باستخدام قانون المبادىء الأربعة وهى المنسجمة والمتآلفة معاً

البرية رقم	البرية حسبما جاءت بالكتاب	الوعد	المبدأ	المشكلة	إتمام الوحى
١	آدم وحواء (تكوين ٢، ٣)	الرفقة مع الله، جنة عدن	الطاعة لأمر الله	التجربة الشيطانية	فشـــل
٢	إبراهيم (تكوين ١٢ ـ ٢٢)	أبو الأمم	الإيمان والطاعة	سنوات الانتظار، الجولات في المشكلة	أبو الإيمان
٣	إسحـــق (تكوين ٢٥)	الوعد بابن	الاستعداد والطاعة	عشرون عاماً بدون إنجاب أطفال	ولادة يعقوب وعيسو
٤	يعقـوب (تكوين ٢٩)	الزواج براحيل	طاعة لابان	الغش والظلم	اتخذ راحيل عروساً له
٥	يوسف (تكوين ٣٧ ـ ٤٥)	حلم العظمة	الإيمان والطاعة	البيع كعبد، والسجن، والمعاناة	أنقذ شعبه من المجاعة
٦	موسى (خروج ٢ ـ ١٤)	تحرير شعبه	الإيمان والطاعة	قتل المصرى، سنوات المنفى	حرر شعبه من مصر
٧	إسرائيل (خروج، لاويين، عدد، تثنية)	أرض الموعد	الإستعداد والطاعة	أربعون سنة في البرية	إخفاق الجيل الأول
٨	أيوب (سفر أيوب)	كمال الإيمان	الثقة والطاعة	الامتحان الروحى والجسدى	الإيمان، والاسترداد الوفير
٩	داود (اصموئيل ١٦ ـ ٣١)	أن يكون ملكاً	الطاعة لمشيئة الله	اضطهاد شاول له في البرية	ملك ممسوح
١٠	كل إنسان (مزمور ٢٣)	كأس ريا، المسح بالدهن رأسه	الإيمان بالراعى الصالح	وادى الموت	بركات أبدية
١١	للعذراء (نشيد سليمان)	الزواج بالملك	الاستعداد لاتباع الملـك	تجارب البرية	الإلتصاق بالحبيب
١٢	المسيـــا (إش ٥٢، ٥٣)	سوف يتعظم	الطاعة لمشيئة الله	محتقر ومخذول من الناس الأحزان والأوجاع	نال نصيباً في العظمة

البرية رقم	البرية حسبما جاءت بالكتاب	الوعد	المبدأ	المشكلة	إتمام الوحي
١٣	المسيح (لوقا ٤)	المخلّص	طاعة كلمة الله	تجــارب البرية	إتمام الوعد بالخلاص
١٤	العذراء مريم (لوقا ١)	أم ربنا	الإيمان والطاعة	الإذلال، وعدم الفهم	الكرامة والتمييز
١٥	بطرس (لوقا ٢٢)	مفاتيح الملكوت	الخضوع والإيمان	إنكار كلمته	الإسترداد والثبات
١٦	التلاميذ (لوقا ٢٤)	السلطان والشهادة	الرسوخ والثبات في الإيمــان	صلب المسيح	مقابلة المسيح المُقام
١٧	كنيسة العهد الجديد (أعمال ٢٠)	التبشير ببشارة الإنجيل الطاهر للتوبة والإيمان بالمسيح	الثبات الراسخ في العقيدة النقية	الإنقسام، والذئاب الخاطفة	ميراث لأولئك المرفوضين (أعمال ٢٠:٣٢)
١٨	بولس (فيلبى الأصحاح الأول)	رسول يسوع المسيح	الإيمان والطاعة والإذلال أمام الله	الاضطهاد، والضربات، والسجن، والمعاناة	الفوز بجعالة دعوة الله العُليا في المسيح يسوع (انظر فيلبى ٣:١٤)
١٩	تيموثاوس (تيموثاوس الأولى والثانية)	النفع في عمل الله	الإيمان والطاعة	الحرب الروحية، والمعلمون الكذبة	القوة والشجاعة، إتمام الوعد بالكامل له
٢٠	الحياة المسيحية (غلاطية ٢:٢٠)	الحرية من القيد والعبودية	المسيح فينا	الموت عن الذات	حياة القيامة
٢١	المؤمنون (رومية ٥ ـ ٨)	سيملكون في الحياة	الموت عن الذات والقيامة مع المسيح (رومية ٦)	الصراع بين الطبيعة القديمة والطبيعة الجديدة (رومية ٧)	أرض الموعد

رقم الإيداع : ٢٣٢٨١ / ٢٠١٠
الترقيم الدولى : 8 - 266 - 210 - 977

هذا الكتاب

الحياة المسيحية الصادقة ليست مفروشة بالورود والرياحين، بل هى حياة جهاد وضيق وآلام.. ولا تخلو من تجارب.

نعم، ما أقصى التجارب، ولكنها ضرورية في الإيمان المسيحى وإلا لما علمنا رب المجد أن نصلى قائلين «ولا تدخلنا في تجربة»!

هناك أسباب كثيرة للتجارب، ومصادر متعددة لها، لكنها تحمل [illegible] سامية من ورائها، وهذا هو [illegible] لهذا الكتاب.

إنه يحمل منظوراً جد[illegible] مختلفة عن المعتاد لموض[illegible]. ونصلى أن يكون سبب بركة للجميع ولا سيما للمتألمين المجربين. آمين.